الميزاب الذهبي

ALTINOLUK

مجلة فصلية- العدد ٤٥ (كانون الثاني- نيسان ٢٠٢٥)

بذور الخير

هدف القرآن الكريم

تربية المتقين

أيها الأخوة القرآء:

لقد كان الأنبياء الذين كلَّفهم الله ﷻ بوظيفة التبليغ ينظرون إلى الناس من نافذة القلب؛ لأنهم جاؤوا من أجل عمارة القلوب، وقد كانوا سبباً في هداية كثير من الناس بسبب نظرتهم المليئة بالمحبَّة والشفقة تجاه المحيطين بهم، فلو أنَّهم تصرفوا بعكس هذا الأسلوب الجميل والحكيم لاقتلعوا العلاقة التي تربطهم مع الناس الذين حولهم من جذورها، ولأضاعوا في النهاية فرصة نجاحهم في مهمة التبليغ، وهذا الأمر يأتي بخلاف المراد الإلهي؛ لأن الله تعالى يريد تخليص عباده وانتشالهم من المهالك التي انزلقوا إليها، ومن أجل ذلك فقد أرسل الله تعالى عبر التاريخ الإنساني آلاف الأنبياء وأمرهم باتباع أسلوب لطيف لتزكية قلوب الناس؛ ومن أجل الغاية نفسِها تفضَّل الله على عباده (بأهل الله) الذين هم صفوة خلقه في التقوى والحكمة؛ لكي يتبعوا هذا الأسلوب النبوي في تربية الناس من الناحية الروحية والمعنوية، ويحافظوا على استمراره.

فلا يُرجى الخير من الخدمات والأعمال التي تُؤدَّى بأسلوب فظٍّ، وجارح، وجلف، والذي لا يأتلف مع الأخلاق الحسنة، وخاصة الخدمات والأعمال التي تخاطب روح الإنسان مثل التربية، والإرشاد، والتبليغ، إذ ينبغي إظهار أهمِّية للرحمة واللين في هذا المجال؛ حيث إنَّ الله تعالى يخاطب في القرآن الكريم كلَّ الأمة من خلال شخص فخر الكائنات سيِّدنا محمَّد ﷺ، فيقول:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩)

تفيد هذه الرؤيةُ – في مجال العمل الإسلامي وفي كلِّ النشاطات البشرية أيضاً – أنَّ اللطف واللين والرقة الناتجة عن مراقبة أحوال المخاطبين الفعلية، وأحوالهم المحتملة أيضاً؛ يمكن أن تحقق أعظم النتائج، وهذه الرؤية هي المنطلق الأساسي في سلوك المتصوفين؛ إذ يجعلون أحوالهم أكبر مؤثِّر فيَّاض ومتكامل في مَن حولهم.

الميزاب الذهبي

مجلة تصدر كل أربعة أشهر

العدد الخامس والأربعون

(كانون الثاني- نيسان ٢٠٢٥)

رئيس التحرير

بيت الله دميرجي أوغلو

مدير التحرير

حسام يوسف

هيئة التحرير

بيت اللهّ دميرجي اغلوا

حسام يوسف

آدم أزدمير

د. مراد قايا

لقمان حلوجي

الترجمة و التصحيح

محمد عز الدين سيف

التصميم والتنضيد والاخراج الفني

حسام يوسف

دار النشر والطباعة

Ikitelli Organize Sanayi Bölgesi Mahallesi
Atatürk Bulvarı Haseyad 1. Kısım No: 60 / 3C
Başakşehir - İstanbul / TURKEY
Tel:+90 212 671 07 00 Faks:+90 212 671 07 48

الإشتراك

لكي تصلكم المجلة بشكل دوري
يمكنكم الإشتراك سنوياً بمبلغ ٣٠ دولار

كما يمكنكم المساهمة بإرسال المقالات والملاحظات على عناوين المجلة

للمراسلة

www.islamicpublishing.org
almizab2011@hotmail.com
almizab2011@gmail.com

المحتويات

هدف القرآن الكريـم تربية المتقين

الأستاذ: علي رضا تمال

من يشترك في إثم الظلم؟

البروفسور د. كريم بولادي

الصبر والثبات

الأستاذ:: عثمان نوري طوبّاش

حديث النبوي المعجزة: حديث فتح القسطنطينية

الأستاذ دورسون غورلك

كلمة التحرير	١	الصبر والثبات	٢٨
هدف القرآن الكريـم تربية المتقين	٣	أدَّبه ربه وبيَّن حقوقه	٣٤
إذا لم تكن حقوق الولاية كان الفساد	٦	الفتح يبدأ من القلب أولًا!	٣٧
لطائف من قصة أهل الكهف	٨	مقاطعة ثمامة الاقتصادية	٣٨
ولو إبرة	١٠	الموت ينتظر عند الباب	٤٠
البحث عن محبة الله تعالى	١٢	هل نسيـتَ الوقف	٤٢
التواصل في الأسرة يقوم على الاحترام	١٥	حديث النبوي المعجزة: حديث فتح القسطنطينية	٤٤
من يشترك في إثم الظلم؟	١٨	الطعام المجهول إما يؤلم البطن أو الرأس	٤٨
المسلم متصالح مع الموت	٢١	الفتح والفاتح	٥٠
تسليط القرآن الكريم الضوء على الاكتشافات العلمية	٢٤	النظافة التي نحتاجها في ضوء اسم الله – القدوس لله –	٥٢
الحمد	٢٦	معاذة العدوية	٥٤
الإخلاص وحُسن النية	٢٧	الله نور السموات والأرض	٥٦

ملاحظة: المقالات المنشورة في هذه المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

هدف القرآن الكريم
تربية المتقين

الأستاذ: علي رضا تمال

يولد الإنسان طاهرًا خاليًا من الذنوب. وأهم واجباته أن يحافظ على هذه الطهارة، وأن يسعى للعيش وفقًا لفطرته السليمة. وكما أن الحفاظ على الجسم والبيئة من الأدران المادية مهم جدًا، فإن تطهير الروح من الشرك والنفاق والكبرياء والحسد وغيرها من الأدران المعنوية لا يقل أهمية. ويمكن تحقيق بيئة نظيفة طاهرة من خلال التقوى.

ينقسم المجال الصحي عمومًا إلى قسمين: الطب الوقائي والطب العلاجي. ويعتبر الطب الوقائي أكثر أهمية وأولوية من الطب العلاجي، لأن الأساس هو عدم الوقوع في المرض أصلًا. وللوقاية من المرض، يجب الابتعاد عن الأمور والبيئات التي تضر بالصحة. وإذا لم يلتزم الإنسان بالوقاية، فإن العلاج قد لا يكون ذا فائدة كبيرة.

إن سلامة الحياة المعنوية تعتمد على التحسس تجاه الشرور والذنوب. فانتشار الشرور والذنوب يكون أسرع من انتشار الخير والطاعات. والهجرة في أحد معانيها هي الانتقال من بيئة سيئة إلى بيئة حسنة. وقد عرَّف النبي محمد صلى الله عليه وسلم المهاجر الحقيقي بقوله: "المهاجر من هجر ما نهى الله عنه".

من يعيش في بيئة تكثر فيها الذنوب والمحرمات، لا بد أن يتأثر بتلك البيئة غير النقية. لذلك تقع على عاتق الدولة والمؤسسات المعنية مسؤولية كبيرة في إنشاء بيئة صحية ماديًا ومعنويًا. ويجب أن تكون الأولوية الأولى للتعليم تحقيق هذا الهدف.

إن التقوى بمعناها الذي يشمل الوقاية والحرص لها أهمية لا يمكن إنكارها في حياة الفرد والمجتمع.

والهدف الأساسي لكتابنا العزيز، القرآن الكريم، هو تربية أفراد يتحلون بالتقوى. قال الله تعالى:

(ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) [البقرة، ٢]

وفي الآيات التالية يذكر الله صفات هؤلاء المتقين.

إن المهمة الأساسية للإنسان هي ألا يلوث فطرته الطاهرة النقية، وأن يعيش حياة طاهرة سليمة، ليكون مؤهلًا لدخول الجنة التي لا يدخلها إلا الطاهرون. فلا يمكن دخول الجنة إلا بعد التطهر.

(وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) [الزمر، ٧٣]

وكلمة "طبتم" في الآية الكريمة تعني أيضًا "قد تطهرتم وأصبحتم أنقياء من كل دنس".

يحمي جسد الإنسان اللباس الخارجي، بينما يحمي روحه لباس التقوى. قال الله تعالى:

(يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) [الأعراف، ٢٦]

وأهل التقوى يتميزون بالحياء والعفة. أما من يفقدون شعور الحياء، فلا يكون لديهم حرص على تجنب ارتكاب الذنوب. فالحياء من الإيمان، وهو من أجمل صفات المؤمنين. ومن لا يستحي من الله أو من الناس، فهو من أخطر الخلق وأشرهم.

لا يمكن ضبط البشر بالقوانين والإجراءات الأمنية فقط. فالأقوى في مواجهة الأشرار هو الخوف من الله وشعور الحياء. كان النبي محمد ﷺ أسوة في كل الأمور، بما في ذلك الأدب والحياء. وقد أوضح أن الحياء شعبة من الإيمان...وقيمة الإنسان تُقاس بتقواه، وليس بجنسه أو لونه أو شكله أو ثروته أو منصبه. وقد أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع أنه لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود، إلا بالتقوى، وقال: "إن أكرمكم عند الله أتقاكم".

وأشد الناس تقوى هم أولئك الذين يحرصون على اجتناب الذنوب، ويظهرون أعظم درجات الاحترام والخشوع لله تعالى. قال رسول الله ﷺ في حديث شريف:

"إنَّ الحلال بيِّنٌ، وإنَّ الحرام بيِّنٌ، وبينهما أمور مُشتبهات لا يعلمهنَّ كثيرٌ من الناس، فمَن اتَّقى الشُّبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومَن وقع في الشُّبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى، يُوشك أن يرتع فيه، ألا وإنَّ لكل ملكٍ حمى، ألا وإنَّ حمى الله محارمه". [رياض الصالحين، حديث ٥٨٩]

إن الحرص على الابتعاد عن الأمور المشبوهة والمحرمات يتعلق بحق الله وحق العباد. والمحافظة على التقوى ومساعدة الآخرين في هذا الأمر ضرورية من أجل سعادة الدنيا والآخرة. قال الله تعالى:

(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [المائدة، ٢].

لقد حددت الحدود بين الحلال والحرام بشكل واضح، ولكن لا يوجد وضوح في الأمور المشبوهة. والابتعاد عن الأمور التي لا يُعلم ما إذا كانت حلالًا أم حرامًا هو أساس الدين والتقوى. وحتى في الأمور

التي يُعتقد أنها حلال، فإن إظهار الحساسية تجاهها خوفًا من الوقوع في الحرام يعد من متطلبات التقوى. وكما قال رسول الله ﷺ:

"لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس). [رياض الصالحين، حديث ٥٩٧].

فمن يقترب من الأمور المشبوهة قد ينسى أن هذه المناطق حساسة، ومع مرور الوقت قد يدخل في مناطق محرمة بغير قصد، فيعرض نفسه للخطر. وهذه الحالة تشبه الدخول إلى أرض دولة أخرى بدون إذن أو جواز سفر، مما يؤدي إلى صعوبة وضرر عند الوقوع في الخطأ. فالذين يسيرون في مناطق ضبابية لا يعرفون ما سيواجهون، لذلك دائمًا ما يكونون في خطر. قال رسول الله ﷺ:

"دع ما يريبك إلى ما لا يريبك." [رياض الصالحين، حديث ٥٩٤].

يفضل أهل التصوف دائمًا الحذر والالتزام بالأحكام الشرعية بدقة. ويهدفون إلى العمل ليس بما هو جائز فحسب، بل بما هو أفضل وأرفع. هذه الحساسية تؤدي إلى نور في قلوبهم، فينفتح لهم فهم الحق ويصبحون قادرين على التمييز بين الحق والباطل. والتقوى درجات، ففي نظر العوام التقوى هي الابتعاد عن الشبهات. أما الخاصة فيرون أن ترك ما يزيد عن الحاجة من الحلال هو أيضًا من تقوى الله. من يسير بالتقوى يبني حياته على أساس قوي وثابت، بينما من لا يمتلك التقوى يكون كمن يبني منزله على رمال متحركة. قال الله تعالى:

(أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [التوبة، ١٠٩]

وقد ذكر الله تعالى في العديد من آيات القرآن أنه يحب المتقين، وأنه معهم، وأن العاقبة الحسنة تكون لهم، وأن أعمالهم هي التي تُقبل، وأن القرآن هو هدى للمتقين.

المتقي هو الذي يعتمد على التدبير والاحتياط، ولا يتصرف بتجاهل في مسائل الحلال والحرام. هو الذي يتبع ما أمر الله ورسوله بما يتناسب مع قدراته وظروفه، دون تردد أو شك. أما الذين يتبعون أهواءهم، فإنهم يسيرون نحو الهاوية. قال الله تعالى:

(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [القصص، ٥٠]

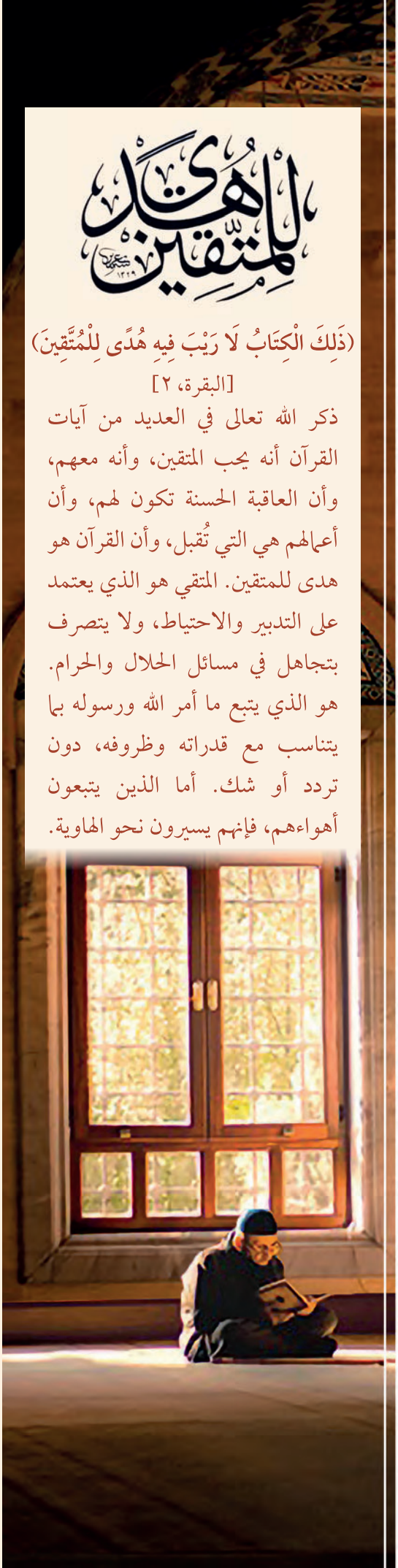

الْهُدَى لِلْمُتَّقِينَ

(ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ)
[البقرة، ٢]

ذكر الله تعالى في العديد من آيات القرآن أنه يحب المتقين، وأنه معهم، وأن العاقبة الحسنة تكون لهم، وأن أعمالهم هي التي تُقبل، وأن القرآن هو هدى للمتقين. المتقي هو الذي يعتمد على التدبير والاحتياط، ولا يتصرف بتجاهل في مسائل الحلال والحرام. هو الذي يتبع ما أمر الله ورسوله بما يتناسب مع قدراته وظروفه، دون تردد أو شك. أما الذين يتبعون أهواءهم، فإنهم يسيرون نحو الهاوية.

الدكتور. آدم أركول

إذا لم تكن حقوق الولاية كان الفساد

إن إعمار الأرض وإعلاء كلمة الله ليس إلا واجب من الواجبات الأساسية للمؤمنين الذين رفعوا شعار العبودية لله وحده. ولهذا الواجب ضرورات لا بد منها، منها وربما أهمها أداء حق الولاية التي تعني أن يوالي المؤمن أخاه المؤمن ويحميه ويرعاه، وقد ذكر الله تعالى هذا الأمر في قوله:

(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) [التوبة، ٧١]

والله سبحانه وتعالى يحدد لنا كيف تكون علاقة المؤمنين، فالمؤمنون إخوة، ويتواصون بالحق والصبر، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وبعضهم أولياء بعض... وتذكر التفاسير في تفسير الآية السابقة أن الولاية تعني أن يكون المؤمن قريبًا من المؤمن ويحبه ويعينه ويقضي حوائجه.

والإيمان يؤسس علاقة مع الخلق كله على مستويات مختلفة، وتكون العلاقة الأقوى العلاقة بين المؤمن وربه، وتحدِّد هذه العلاقة العلاقات الأخرى. فالمؤمن يقيم علاقة مع غيره، وهذا ما يتضح من قول: "بعضهم أولياء بعض"... فإنْ لم تكن هذه العلاقة، كانت الفتنة والفساد كما قال الله تعالى:

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) [الأنفال، ٧٣]

إن التقلبات في هذه الحياة والوجود والعدم والحروب والسلام والنعم والابتلاءات والأحداث الأخرى كلها تحل وتمضي. فلا بد من أداء حق الولاية في كل مستوى ليعلو الحق في هذه الحياة الدنيا، وإلا كان الظلم والفتنة والفساد فيها. وفي عالم يسوده الفساد يتأذى الإنسان والمؤسسة والدولة. فمما يقتضيه الإيمان أن يوالي المؤمن أخاه المؤمن، وعلى هذا الأساس:

- ينبغي للمؤمن أن يدرك بأنه مسؤول عن أخيه المؤمن.

- وينبغي للمؤسسات والجميعات والأوقاف التي يؤسسها المؤمنون أن تحرص على حق الولاية فيما بينها.

- وينبغي للدول المسلمة أن تؤسس لهذا الحق وتجد طريقًا للاجتماع والاتحاد.

إن تأسيس النظام في العالم وإزالة الفتنة والفساد تجعل الولاية ضرورة لا حاجة، لأن الخطوة الأولى للقوة مرتبطة بتحقيق الوحدة والتكامل في إطار حق الولاية. والقوة أمام أعداء الحق والحقيقة أمر إلهي، وبعد تأسيس القوة على أساس "الولاية" لا بد من التوجه إلى عناصر القوة الأخرى، والله تعالى يدعو المؤمنين في هذا الأمر لنيل كل وسيلة من أجل تحقيق القوة، إذ يقول:

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) [الأنفال، ٦٠]

ولا يمكن أن نتخيل مؤمنًا لا يتحرك ولا يعبأ إذا رأى ظلمًا، واليوم على كل واحد منا مسؤولية تجاه إخواننا المظلومين في غزة:

* ينبغي للمسلم اليوم قبل كل شيء أن يشعر بالقلق والاضطراب في قلبه، فلا نستطيع أن نقول عن مسلم إنه مسلم وليس في قلبه ذرة رأفة بإخوانه، فأضعف الإيمان أن ينكر المسلم الظلم والمنكَر بقلبه.

* ينبغي ألا نستخف بالدعاء، فالدعاء باب عظيم للمؤمن في نشوء النية في القلب، وحدوث الإلهام عن ما ينبغي فعله، ووقوع الإرادة التي تحثنا على الحركة، وظهور الإمكانات والفرص الكثيرة. وقول: "لندعو الله على الأقل" يعني فعلًا نلجأ إليه عند العجز بل هو استخفاف بالدعاء، وسبب للحرمان من النصر الإلهي. وإذا زال عون الله، فإن النصر لا يكون إلا تمنيًّا وخيالًا. فالدعاء والالتجاء الصادقَين من أهم وسائل الفلاح.

* المشاركة بالجهاد بالمال وبما نستطيع. وطاقة كل واحد في هذا المجال على قدر إيمانه وضميره ووعيه. والله تعالى يؤكد دائمًا على جهاد المؤمن الحقيقي بماله ويذكر الجهاد بالمال قبل الجهاد بالنفس.

* المشاركة بالجهاد بالنفس، ولهذا طرق كثيرة، بالقول والكتابة والنزول إلى الساحات واستغلال الظروف ومواجهة العدو بعد المشورة، وهذا كله من حق الولاية لإخواننا المسلمين.

إن التقلبات في هذه الحياة والوجود والعدم والحروب والسلام والنعم والابتلاءات والأحداث الأخرى كلها تحل وتمضي. فلا بد من أداء حق الولاية في كل مستوى ليعلو الحق في هذه الحياة الدنيا، وإلا كان الظلم والفتنة والفساد فيها. وفي عالم يسوده الفساد يتأذى الإنسان والمؤسسة والدولة. فمما يقتضيه الإيمان أن يوالي المؤمن أخاه المؤمن، وعلى هذا الأساس:يطعمني ويسقيني".

* مسؤولية كل مسلم على قدر طاقته، ولكن الطاقة لا تكون بالاكتفاء بما بين اليدين بل بالبحث والسعي. فنحن إذا بحثنا عمَّا نستطيع فعله، سنجد فرصًا وإمكانات أكبر. فينبغي أن تكون قلوبنا مثل الرادار تبحث عن الإمكانات والفرص في سبيل عون إخواننا.

* وبعد أن نؤدي كلَّ ما علينا على قدر طاقتنا وإمكاناتنا نفوِّض أمرنا لله تعالى (أي نترك النتيجة لله تعالى ولا نُتعِب أذهاننا بالوساوس).

الأستاذ د. عمر شليك

لطائف من قصة أهل الكهف

تحمل قصة أصحاب الكهف التي وردت في الآيات (٩-٢٦) من سورة الكهف دروسًا عظيمة ومهمة لنا. فهذه القصة تُظهر أن عقيدة التوحيد لا تحتمل الشرك أو المساومة بأي حال. وتخبرنا عن مجموعة من الفتيان الذين خاضوا نضالًا كبيرًا من أجل عقيدة التوحيد، وضحوا بالكثير، وتحملوا المشاق من أجل إيمانهم. وتُبين كيف ألقوا بمصالحهم الدنيوية ومناصبهم من أجل إنقاذ آخرتهم. وتوضح كيف لجؤوا إلى الله بالدعاء، وكيف استُجيبت دعواتهم بطريقة مدهشة من عند الله.

عندما بدؤوا هذا العمل العظيم، دعوا الله قائلين:

(رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) [الكهف، ١٠]

هذه الدعوة الصادقة التي انطلقت من قلوب طاهرة وبإخلاص، قوبلت باستجابة كريمة من الله تعالى. لقد تحركوا عمليًا، تاركين منازلهم وأوطانهم، متَحدِّين قومهم المشركين، ولجؤوا إلى الكهف. فعلوا ما بوسعهم كبشر، والله تولى حمايتهم في الكهف بطريقة خارقة، حيث حفظهم هناك لأجيال بأرواحهم وأجسادهم.

في هذا المقال ليس الغرض تناول القصة بكافة تفاصيلها، بل تسليط الضوء على نقطتين مهمتين جاءتا في الآية (١٩)، وتقدمان دروسًا خالدة للمسلمين عبر الزمن.

النقطة الأولى قول الله تعالى على لسان أهل الكهف:

(فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ).

وأما الثانية فهي: (وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا).

يشير المفسرون إلى أن كلمة "وَلْيَتَلَطَّفْ" تقع في منتصف كلمات القرآن الكريم من الفاتحة إلى الناس. وقد أوضحوا أن حرف "لام" يمثل نهاية النصف الأول، بينما يمثل حرفا "طاء" و"فاء" بداية النصف الثاني. وهذا يمنح الكلمة ميزة فريدة.

في هذه المرحلة من القصة، استيقظ الفتيان، لكنهم لم يعرفوا كم من الوقت قضوا في نومهم داخل الكهف. فسأل أحدهم الآخرين: "كم لبثنا؟" وقد شعر من سأل بتأثير النوم الطويل عليه، وكان الجواب: "لبثنا يومًا أو بعض يوم". ثم تركوا تحديد المدة الحقيقية لله، وقرروا حل المشكلة التي واجهوها فعليًا.

أولًا، كانوا في جوع شديد، وكان بحوزتهم النقود الفضية التي أخذوها معهم عند خروجهم من المدينة. فأرسلوا واحدًا منهم بهذه النقود ليذهب إلى المدينة ويجلب لهم "أزكى طعام". وهنا تحمل عبارة "أزكى طعامًا" التي اختيرت بعناية، عدة معانٍ:

١. أن يكون الطعام مذبوحًا بطريقة شرعية وحلال، لأن معظم أهل تلك البلدة كانوا كفارًا ويذبحون الحيوانات باسم أصنامهم.

٢. أن يكون الطعام حلالاً من حيث الكسب، حيث كان معظم أهل البلدة يحصلون على أموالهم بطرق غير شرعية كالغصب. وكأنهم يقولون لصاحبهم: "انتبه، لا تأتنا بشيء اكتُسب بغير حق".

٣. أن يكون الطعام من أجود الأنواع وأكثرها بركة، وأن يكون طيبًا ونظيفًا.

تعكس هذه المعاني مدى حرصهم ووعيهم الديني النقي تجاه اختيار الطعام، حتى بعد مرور زمن طويل. كانوا حريصين على الابتعاد عن الحرام والالتزام بالحلال، مدركين أن الطعام الحرام يؤثر سلبًا على الإيمان والعبادة والأخلاق والمعاملات، وبالتالي على جميع جوانب العبودية لله.

ثانيًا، كانوا يخشون انكشاف أمرهم. كانوا قلقين من أن يُعرف مكان اختبائهم، مما قد يؤدي إلى تعرضهم للاعتقال من قبل حكام المدينة. كان الخوف الأكبر هو أن يجبرهم الحكام على ترك دينهم والتراجع عن إيمانهم، أو أن يُقتلوا رجمًا بسبب تحديهم لدين المجتمع المشرك. هذا القلق هو ما دفعهم إلى نصح الشخص الذي أرسلوه بأن يكون حذرًا ويقظًا، ويتجنب كشف هويتهم.

وقد جاءت كلمة "وَلْيَتَلَطَّفْ" لتعبر عن هذه النصيحة ببلاغة، حيث فسرها العلماء على النحو التالي:

١. أن يكون حذرًا عند شراء الطعام، فلا يسمح لأحد بخداعه.

٢. أن يتصرف بلباقة ويخفي هويته ومكان اختبائهم عن الآخرين، وألا يُظهر أي شيء قد يثير شكوك الناس.

٣. أن يكون حذرًا أثناء الذهاب والعودة، وفي كل تحركاته وتعاملاته، وأن يبذل قصارى جهده للحفاظ على السرية.

ويبرر هذا الحذر بقولهم:

(إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا) [الكهف، ٢٠]

كان الرجم حتى الموت من أقسى أساليب القتل في ذلك المجتمع. أما إجبارهم على الكفر مرة أخرى فكان أشد وأقسى عليهم من الموت، لأنه يعني الخسارة الأبدية. الموت الدنيوي يمكن أن يؤدي إلى الشهادة والخلود في النعيم، كما حدث مع السحرة الذين قتلهم فرعون ولكن نالوا الشهادة. أما الرجوع إلى الكفر فيغلق كل أبواب النجاة ويؤدي إلى الهلاك الأبدي.

والخلاصة أنه في كل عصر قد يظهر طغاة يشبهون ذلك الملك الظالم الذي حاول إكراه أصحاب الكهف على الكفر والشرك. لذلك، إذا أردنا السلامة لديننا ودنيانا، لإيماننا وأعمالنا، فعلينا أن نتمسك بعقيدة التوحيد كما فعل أصحاب الكهف. يجب أن نكون على استعداد لترك المناصب والمصالح الدنيوية عند الضرورة، والابتعاد عن كل ما لا يليق بعبوديتنا لله. كما يجب أن نحرص على أن يكون طعامنا حلالًا، وأن نتصرف بحذر ووعي في كل خطوة.

الاعتقاد بأنه "مهما فعلت، فلن يصيبني شيء" هو تصور خاطئ، إذ يمكن أن يؤدي الإهمال إلى الهلاك والضلال، وربما إلى التحول من الإيمان إلى الكفر. تختم القصة هذا الجزء برسالة تحذيرية واضحة، لتظل عبرة لكل الأجيال.

خلال الفترة التي قضاها أهل الكهف في حالة من السبات، لم يحتاجوا إلى طعام أو شراب مادي بسبب ما نالوه من غذاء روحي مستمر. فقد كفاهم الله حاجتهم المادية بما أفاض عليهم من نعم روحية.وهذه الحال تشبه حال النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم، حيث كان أحيانًا يصوم أيامًا متتالية دون أن يُفطر، وقال: "أبيت عند ربي، يطعمني ويسقيني".

ولو إبرة

هاشم آقين

كان معاذ بن جبل ﷺ شابًا من الصحابة الذين تربوا تربية خاصة على يد رسول الله ﷺ. ومن الأمور التي تثير إعجابنا به أنه كان يجلس خلف النبي ﷺ على ناقته أو حماره أثناء السفر، محتضنًا النبي بإحكام، ويتلقى منه نصائح خاصة.

قام النبي الكريم ﷺ بتربية هذا الشاب الذكي الفطن المتفوق في الفراسة والتقوى بأسلوب خاص. وبعد ذلك، عيّنه واليًا على اليمن. عندما خرج معاذ بن جبل ﷺ إلى اليمن، كان في مقتبل العشرينات، ورغم صغر سنه، لم يعترض أحد على تعيينه.

قام النبي ﷺ بتوديع معاذ بن جبل ﷺ بأسلوب لم يحظ به الكثيرون. كان النبي يمشي على قدميه بينما معاذ ﷺ يجلس على دابته، مستمعًا لآخر وصايا النبي. وعندما أبدى معاذ ﷺ انزعاجه من كونه على الدابة بينما النبي يمشي، أمره النبي بالبقاء على حاله.

لكن الجزء الأكثر تأثيرًا في هذه القصة هو ما حدث لاحقًا. يروي معاذ ﷺ قائلاً: "بعد أن ودّعني رسول الله ﷺ وعاد إلى المسجد النبوي، كنت قد انطلقت في طريقي إلى اليمن. لكن بعد قليل، رأيت رجلاً يأتي من خلفي ويخبرني أن النبي ﷺ استدعاني. كنت متفاجئًا بشدة وعدت إليه على الفور. كان رسول الله ﷺ ينتظرني. قال لي: 'يا معاذ! هل تعلم لماذا استدعيتك؟ عندما تصل إلى هناك ستجد غنائم وأموالاً، فإياك أن تأخذ من الغنائم شيئًا ليس من حقك، ولو كان إبرة. لأن من يأخذ من أموال الغنائم بغير حق، سيأتي يوم القيامة حاملاً ذلك الشيء على عنقه.'عدت إلى طريقي بعد أن سمعت هذا التحذير مرة أخرى، وكان له تأثير عميق في نفسي".

أينما كان موقع الشخص في إدارة الدولة، فإن الذي يعرّف نفسه كمسلم ويؤمن بالله واليوم الآخر، عليه أن يتخذ موقفًا وأسلوبًا وسلوكًا يتناسب مع ذلك الإيمان. يعلّم رسول الله ﷺ معاذ بن جبل ﷺ، الذي أحبه كثيرًا وأرسله وهو شاب

باب الحق مفتوحٌ لكل محتاج

باب الله مفتوحٌ دائمًا لكل صاحب حاجة، فهل يليق أن يلجأ الإنسان إلى من اغترَّ بمنصبه في الدولة طلبًا للعون؟

إلى ديار بعيدة، معيارًا مهمًا يتجاوز الزمن. فقد نهى بشدة عن أن يستفيد من مال الدولة أو الغنائم بشكل غير شرعي، ولو كانت مجرد إبرة.

يحذر النبي ﷺ من النتائج التي ستترتب على ذلك، رافضًا المبررات مثل "من يمسك العسل يلعق أصبعه"، ويظهر لنا حساسية التعامل مع أموال الدولة وبيت المال.

عندما نسمع عن قصة استخدام عمر بن الخطاب ﷺ شمعتين؛ واحدة لأعماله الشخصية وأخرى لأعمال الدولة، إذا اعتبرناها قصة طوباوية من الماضي، فلن يجتمع حال المسلمين وأولئك الذين لديهم هم إسلامي على خير أبدًا.

الأشخاص الذين لا يطابقون أقوالهم بأفعالهم، ويتحدثون بأجمل العبارات لكن يستخدمونها دائمًا كرصاص لانتقاد الآخرين، يصبحون عبئًا على الأمة. بدءًا من مسؤولية بسيطة كرئاسة حي أو إدارة مدرسة، وصولًا إلى أعلى مستويات الحكم، يجب على كل شخص يتولى مسؤولية أن يفي بحقوقها كما يلتزم بواجباته.

لكن عندما يبدأ الشخص بالاستفادة من الفرص الدنيوية التي توفرها المسؤولية، تخرج الأمور عن السيطرة. فتذوق مزايا تلك الفرص ولو لمرة واحدة فقط يؤدي إلى الوقوع في الخطأ. الأسوأ من ذلك أن يبدأ الإنسان في إيجاد مبررات لأخطائه ويتبناها. وهكذا يزين له الشيطان ذنبه بمبررات زائفة تجعل الخطأ يبدو كأنه صواب.

عندما جُرح عمر بن الخطاب ﷺ وأيقن أنه على وشك الوفاة، طُلب منه أن يعين خليفة من بعده كما فعل أبو بكر ﷺ. لكنه ترك الأمر لشورى بين مجموعة من الصحابة. وعندما طلبوا منه أن يضم ابنه عبد الله ﷺ إلى هذه المجموعة، قال قولته الشهيرة: "يكفي أن يكون من بيت واحد أضحية واحدة، لا أريد أن يكون ابني أضحية أيضًا".

ورغم الإلحاح، وافق أن يشارك عبد الله ﷺ في الشورى كناخب فقط، دون أن يكون مرشحًا. وهكذا كان عمر ﷺ يرى أن تولي المسؤولية في الدولة بمثابة تقديم النفس كأضحية.

اليوم، نجد كثيرًا من الإخوة الذين يتولون مناصب إدارية في مختلف المجالات، وقد قدموا أنفسهم أضاحي لأجل الأمة. لكن الغريب أن هناك أيضًا الكثير ممن يسعون جاهدين ليصبحوا أضاحي!

ما إذا كانت هذه المسؤوليات ستقربهم من الله أم ستثقل كاهلهم بالذنوب، فهذا ما ستحدده أفعالهم وسلوكياتهم خلال فترة توليهم المهام.

أولئك الذين لا يملكون أصدقاء يخبرونهم بأخطائهم، وأولئك الذين ينخدعون بالأصدقاء الجدد الذين يظهرون فجأة عند تولي المنصب، وأولئك الذين يحبون المستشارين الذين يوافقون على كل قرار ويتملقون لهم، وأولئك الذين يرفضون الانتقادات ويبحثون عن أعذار لتصديق أنهم على حق، وأولئك الذين يعتقدون أن غيابهم سيؤدي إلى انهيار المؤسسة أو الدولة، وأولئك الذين يسعون لإرضاء من حولهم، سيكتشفون متأخرًا أن ثمن كل ذلك سيقع عليهم يوم الحساب. عندما تنتهي المسؤولية، سيجدون أنفسهم وحدهم، وعليهم أن يكونوا مستعدين للحساب. حتى وإن كانت مجرد إبرة.

"سيد القوم خادمهم"

بدءًا من أبسط المسؤوليات مثل منصب مختار حيٍّ أو مدير مدرسة، وصولًا إلى أعلى المناصب في الدولة، على كل من يتولى أي مهمة أن يلتزم بحقوق منصبه كما يلتزم بمسؤولياته. ولكن إذا فشل في الوفاء بمسؤولياته وبدأ في تذوق ملذات ومغريات الدنيا التي يوفرها المنصب، فهنا تبدأ الأمور بالخروج عن السيطرة.

البحث عن محبة الله تعالى

الولادة في هذه الدنيا تعني ولادة الحاجة والجوع. يجب أن يكون لدى الإنسان شعور بالحاجة إلى الحقيقة. وبهذه القوة الدافعة الأساسية فقط يستطيع أن يحرر نفسه من قيود هذه الحياة الدنيوية الزائلة الفانية، ليتمكن من التمتع بجمال الحياة الأبدية وهو لا يزال في الدنيا. ومن خلال الرغبة المستمرة والشعور المطلق بالحاجة، يمكن للإنسان أن يتخلص من رغبات هذه الدنيا ويولد في الحقيقة.

إن الشرط الأساسي لنيل محبة الله هو الشعور بالحاجة إلى الله. فبدون الحاجة، لا يعطي الله شيئًا. علينا أن نطرق باب الحاجة، وهو باب الجوع، باب الشوق الإلهي، باب الحنين والرغبة. على المؤمن أن يكون دائمًا فياضًا بهذا الشوق والاحتياج والجوع والحنين وألم الفراق، تمامًا كما يتنفس الهواء.

يقول مولانا جلال الدين الرومي رحمه الله:

"البحث عن الحقيقة هو الأمانة التي أودعها الله فيك. كل باحث هو بمقدار ما يبحث عنه. اسعَ! فقد يزداد بحثك ويتحرر قلبك من بئر الجسد".

وقال عبد الله التستري:

"تأملت في هذا الطريق ووجهت بصيرتي نحو الحقائق، فلم أجد طريقًا أقرب من الحاجة، ولا حجابًا أثقل من الادعاء".

وقال الشيخ أحمد الشماني:

"انظر إلى طريق إبليس، فلن ترى فيه إلا الادعاء. ثم انظر إلى طريق آدم، فلن ترى فيه إلا الحاجة".

لما خلق الله الإنسان، أودع فيه الحاجة إلى معرفته. فالإنسان في حاجة دائمة إلى الوعي بوجود الله، إلى رؤية الحقائق ببصيرة القلب، إلى شم رائحة الآخرة العطرة، إلى سماع صوت الله الذي يقول: (ألست بربكم؟)، إلى العودة إلى موطنه الأصلي. هذا هو الشوق الأكبر للروح، وهو جوهرنا.

يقول مولانا جلال الدين الرومي عن الحاجة:

"لولا المتسول، فما معنى العطاء؟

ولولا الضيف، فما معنى الكرم؟

كن متسولًا وكن ضيفًا، لأن الجمال يبحث عن المرآة، والماء يبحث عن العطشان. طريق موسى هو طريق اليأس التام والحاجة الكاملة إلى الله، وهو الطريق الوحيد إليه. منذ متى خذلك اليأس؟

وطريق يوسف يقود إلى البئر. لا تهرب من شطرنج هذه الدنيا، فهي لعبة ونحن مهزومون فيها. أيها المهزوم! الجوع يجعل الخبز البائت ألذ من الحلوى. مشكلتك هي عسر الهضم الروحي. ابحث عن الجوع، والشغف، والحاجة! الفأر قارض بطبيعته، وقد أعطاه الله عقلًا بقدر حاجته. فلا يعطي الله سبحانه وتعالى شيئًا بلا حاجة".

ويقول أيضًا: "عندما ترى الحب في داخلك، فعليك أن تعتني به، فقد ينمو! وإذا وجدت رأس المال- وهو بحثك عن الله- فاعمل على زيادته من خلال البحث عن الله، لأن البرَكة في الحركة. وإذا لم تستعمل رأس المال، فسوف يتركك ويرحل".

ولزيادة وعينا باحتياجنا إلى الحقيقة، علينا أن نعزز عطشنا لمحبة الله، لأن هذا الشعور هو ما يرفع مقامنا إلى مقام المؤمن الحقيقي. وكما قال جلال الدين الرومي:

"اقضِ وقتًا أقل في البحث عن الماء وإرواء عطشكَ. سترى أن الماء سينبع من السماء والأرض".

إن الشرط الأساسي للحب الإلهي هو الشعور بالحاجة إلى الله، والإحساس بالعطش لمحبة الله سبحانه وتعالى. عندما يكتشف العاشق السر الكامن في علاقته بخالقه، يسعى لإيجاد وسيلة تزيد من شوقه وحنينه وحاجته إليه. وكلما ازدادت معرفته، زادت مناجاته لله تعالى. وكلما شكر وذكر وحمد، تدفق على قلبه شعورٌ لا ينتهي بالجوع والعطش والاحتياج.

لقد خلقنا الله سبحانه وتعالى من أجل دار الخلود، وهذا يعني أننا خلقنا من أجل التقدم المعنوي. حياة الإنسان بأكملها من المهد إلى اللحد هي رحلة تعلم وتطور ونمو معنوي. ولهذا على كل إنسان أن يصبح في حياته باحثًا محترفًا عن الحقيقة.

يروي مولانا جلال الدين الرومي حكاية في هذا السياق فيقول: "في ليلة من الليالي خرجت من بيتي أسير في المروج. فرأيت رجلًا يحمل مصباحًا يتجول. سألته: 'ماذا تبحث في ظلام هذا الليل؟' فأجاب: 'أبحث عن الإنسان.' فقلت له: 'يا للأسف، إنك تتعب نفسك دون جدوى. لقد هجرت وطني ولم أجده. عُد إلى بيتك ونَم مرتاحًا. بحثك عبث، لن تجده في أي مكان!' فنظر الرجل إلي بحزن وقال: 'أنا أيضًا أعلم أنني لن أجده. لكنني أستمتع بالبحث عنه، وحتى شوقي إليه يمنحني لذة!'...وقال مولانا أيضًا:

"غذاء العاشق هو أن يعشق خبزًا بلا خبز. من صدق في عشقه لم يتعلق بالماديات. فالعاشقون لا يهتمون بما لديهم من ممتلكات. والحق أن الجوع هو سيد العلاجات. اجعل الجوع يسكن روحك ولا تحتقره! فالجوع يجعل الأمور المكروهة مقبولة، وبدونه تُرفض كل الأمور الجميلة".

إن أعظم إلهام يمكن أن يحصل عليه المؤمن هو الإلهام الذي يتعلق بالحياة نفسها. يجب على المسلم أن يعتز بكونه من أمة محمد صلى الله عليه وسلم. هذا الإلهام قد نقله إلينا أصحاب رسول الله الذين حملوا أعباء الدعوة بأقصى درجات السعادة والفرح. لقد أظهروا لنا أن الدين هو مزيج من النقاء والفرح والإلهام والرحمة والإيمان.

مَن بحث وجد
لقد خلقنا الله من أجل دار الخلود، وهذا يعني أننا خلقنا من أجل التقدم المعنوي. حياة الإنسان بأكملها من المهد إلى اللحد هي رحلة تعلم وتطور ونمو معنوي. ولهذا على كل إنسان أن يصبح في حياته باحثًا محترفًا عن الحقيقة.

وكما هو مذكور في القرآن، فإن النحل قد أوحي إليه لجمع رحيق الأزهار وصنع العسل. وملايين الكائنات الحية تتلقى الإلهام من أجل البقاء وأداء مهامها. هذه الطاقة الحياتية، وهذا الشغف العالي، قد فقدت قيمتها بالنسبة للكثير من البشر في عصرنا الحديث.

لم تعد البشرية تتلقى الإلهام الإلهي كما في السابق. لقد أصبحت حياتنا في المجتمعات الحديثة تفتقر إلى الجمال والرفاهية والبركة والجاذبية والمحبة. والسبب الرئيسي لفقداننا هذا الإلهام واللذة الروحية هو أننا فقدنا شعورنا بالعطش لمحبة الله. فقدنا حاجتنا إلى خالقنا وشوقنا إليه.

هذا النقص يعني أننا نفتقد إلى الرجوع إليه، والدعاء له، ومناجاته، واللجوء إليه. العطش لمحبة الله هو شوق الروح لخالقها. عندما نفتقد هذا العطش، نفقد الإحساس بالشوق إلى ماء الحياة، والحنين إلى الوصول إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى.

فجميع مشكلاتنا تنبع من غيابنا عن الله وعدم شعورنا بالعطش لمحبة الله. يجب أن نغمر قلوبنا بالمحبة لسيد الكائنات، النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فالشعور بالعطش لمحبة الله هو ما يرفع مقامنا إلى مقام المؤمن الحق.

قال ابن القيم في طريق الهجرتين: من عرف الله أحبه ولا بد، ومن أحبه انقشعت عنه سحائب الظلمات، وانكشفت عن قلبه الهموم والغموم والأحزان، وعمر قلبه بالسرور والأفراح، وأقبلت إليه وفود التهاني والبشائر من كل جانب، فإنه لا حزن مع الله أبدا؛ ولهذا قال حكاية عن نبيه أنه قال لصاحبه أبي بكر: لا تحزن إن الله معنا. فدل أنه لا حزن مع الله، وأن من كان الله معه فما له والحزن، وإنما الحزن كل الحزن لمن فاته الله فمن حصل الله له فعلى أي شيء يحزن، ومن فاته الله فبأي شيء يفرح، فالفرح بفضله ورحمته تبع للفرح به سبحانه، فالمؤمن يفرح بربه أعظم من فرح كل أحد بما يفرح به من حبيب أو حياة أو مال أو نعمة أو ملك، يفرح المؤمن بربه أعظم من هذا كله، ولا ينال القلب حقيقية الحياة حتى يجد طعم هذه الفرحة والبهجة فيظهر سرورها في قلبه ونضرتها في وجهه فيصير له حال من حال أهل الجنة حيث لقاهم الله نضرة وسرورا، فلمثل هذا فليعمل العاملون، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

العمل الصالح الذي يصل إلى العرش العظيم

خلق الله عبادًا من خلقه يحيون لقضاء حوائج خلقه، ما في أجسادهم سوى قلوب تستشعر هموم الناس، وأرواح تتألم لألمهم، ولا جوارح لهم إلا وهي تسعى في البر بالناس؛ حتى يكادوا أن ينسوا أنفسهم، وكما أنه من المستحيل أن تتوقف الشمس عن بث الحرارة، كذلك من المستحيل ألا يتألم ذوو الأرواح السامية من أحوال الناس المأساوية، وأن يتغاضوا النظر في المحن والمصائب، فالرحمة جوهر من الجواهر الإلهية النفيسة تشمل العالم كله، وقلب أولياء الله خزينة رحمة لا تنفد، فهم يرون أنه من الأفضل الفوز المتوقع حين يتركون العلاقات والرغبات التي تزيد من طمع النفس، ويركزون على المعاملات الحسنة التي تغذي الروح وتخلِّد الأعمال، فمِن أكثر أرباح الإنسان قيمة في هذه الدنيا مثل هذه الأعمال الصالحة، أما المكاسب الأخرى فما هي إلا أمانات مؤقتة يرجعها الإنسان واحدة تلو الأخرى.

فعن عائشة ﵂، أنهم ذبحوا شاة، فقال النبي ﷺ: «ما بقي منها؟» قالت: ما بقي منها إلا كتفها قال: «بقيت كلها غير كتفها» (الترمذي، القيامة، ٣٣)

محمد أمين قره باجاك

التواصل في الأسرة يقوم على الاحترام

تشير الأبحاث إلى وجود كتابات على أهرامات مصر تعود إلى حوالي ألفي عام قبل الميلاد تتحدث عن المشكلات التي واجهتها أم وابنتها خلال فترة المراهقة. وهذا يدل على أن صعوبات حل المشكلات ليست مقتصرة على عصرنا الحالي.

اليوم، يكاد لا يخلو أي والد أو والدة من مواجهة مشكلات مع أبنائهم. والسبب الأكبر وراء هذه المشكلات يعود إلى أمرين رئيسيين: الأول هو اللغة التي نستخدمها، والثاني هو محاولة حل المشكلات بسرعة وعشوائية، مثل الوقوف في الممرات أو أثناء الانشغال بأمور أخرى.

يمكننا تعريف التواصل باختصار على أنه التعبير عن مشاعرنا وأفكارنا بطريقة مناسبة في الوقت والمكان المناسبين، مع مراعاة الحالة النفسية للطرف الآخر وبأسلوب هادئ ولطيف. بعبارة أخرى، لكي يفهمنا أطفالنا بشكل صحيح، ليس المهم فقط ما نقوله، بل أيضًا كيف وأين نقوله. ذلك لأن أطفالنا، كبقية الناس، ينتبهون للطريقة والمكان والأسلوب أكثر من الكلمات نفسها. عندما لا نأخذ هذا بعين الاعتبار، قد يؤدي ذلك إلى ظهور مشكلات في التواصل داخل الأسرة.

الأخطاء التي نقع فيها

محاولة حل المشكلة مع الطفل فور عودته من المدرسة وفي الممرات لن يكون حلًا صحيًا.عدم مراعاة الحالة النفسية للطفل، مثل التعب أو الجوع.بدء الحديث باتهام الطفل أو مناقشة المشكلة أمام الآخرين.محاولة الرد على الطفل بدلًا من الاستماع إليه.استخدام لغة اتهامية ومهينة أثناء الحديث.الحكم على الطفل بناءً على ماضيه.عدم أخذ مشاعره وأفكاره بعين الاعتبار. وصمه بصفات سلبية.الإطالة في النصائح أو إعطائه خطبًا طويلة.استخدام لغة الأوامر ("أنت") بشكل عشوائي وغير مناسب.عدم مراعاة احتياجات الطفل ومراحل نموه.

البيئة، والموقف، وردود الفعل في حل المشكلات

يُفضّل أن تُناقش المشكلات في بيئة هادئة بعد تناول الطعام وليس فور عودة الأطفال من المدرسة. يجب أن تُعبّر عن مشاعرك وأفكارك باستخدام "لغة الأنا" وبأسلوب لطيف وهادئ.

محاولة حل المشكلات فور عودة الأطفال من المدرسة قد تؤدي إلى تفاقم المشكلة بدلًا من حلها. ذلك لأن الأطفال يعودون غالبًا من المدرسة متعبين وجائعين. وإذا أضفنا إلى ذلك أي سلبيات عاشوها في المدرسة، فقد تصبح المشكلة أكثر تعقيدًا. لهذا السبب، لا يُنصح بحل المشكلات في ممرات المنزل أو بشكل عشوائي وغير مخطط له.

يجب أن تكون البيئة مريحة عند حل المشكلات، كما ينبغي أن تكون وضعية الجلوس مريحة أيضًا. للحصول على تواصل جيد مع الأطفال، من الأفضل أن تحاول الانحناء إلى مستوى أعينهم أو تعديل وضعيتك بما يناسبهم. يميل الأطفال إلى التواصل بشكل أفضل مع الوالدين الذين يقتربون منهم جسديًا وينظرون مباشرة إلى أعينهم أثناء الحديث، ويعطون ملاحظاتهم باستخدام "لغة الأنا".

كما أن عدم مقاطعة الأطفال أثناء حديثهم، وتقديم ردود فعل مثل "هممم، نعم، أفهمك..." عند توقفهم عن الكلام، يعطي الأطفال شعورًا بأنهم يُستمع إليهم ويُفهمون، مما يجعلهم أكثر راحة في الحديث، ويسهّل حل المشكلات.

أهمية التواصل في حل المشكلات

عندما كنت أرغب في التحدث مع والدي في موضوع ما، كان يقول لي: "أنا أستمع إليك". فأبدأ في الحديث، لكنه في نفس الوقت الذي يستمع فيه إليّ، يكون منشغلًا بهاتفه يتصفح وسائل التواصل الاجتماعي. وفي نهاية كلامي، أسأله: "ما رأيك في هذا الموضوع؟" فيجيب: "أي موضوع؟" وعندما أبدي استيائي، يقول: "آه! لا يمكننا تصفح هاتفنا براحة حتى!"

الأطفال الذين يشعرون بأنهم لا يستطيعون التعبير عن مشاكلهم ولا يتم فهمهم، لن يتمكنوا من حل مشكلاتهم، وسينشأ لديهم أيضًا مشكلات في التواصل مع والديهم. لأن التواصل يعتمد على الاحترام. إذا لم يظهر الوالدان احترامًا لما يقوله أطفالهم من خلال الاستماع الجيد لهم، فستظل مشكلات التواصل قائمة. فمحاولة الاستماع للأطفال أثناء الطهي، أو تصفح الإنترنت، أو مشاهدة التلفاز تظهر لهم أنهم ليسوا محور الاهتمام.

عند الاستماع للأطفال، يجب التحدث معهم كأنهم بالغون، دون الحكم عليهم أو انتقادهم أو إعطائهم نصائح مطولة. كما يجب تجنب عبارات مثل: "عندما كنت في عمرك..."، "في زماننا..."، "لو كنت مكانك...".

عندما تطلب من الأطفال الحديث عن موضوع، مهم بالنسبة لهم بطريقة مناسبة، قد يجيبونك بعبارات

الأطفال الذين يشعرون بأنهم لا يستطيعون التعبير عن مشاكلهم ولا يتم فهمهم، لن يتمكنوا من حل مشكلاتهم، وسينشأ لديهم أيضًا مشكلات في التواصل مع والديهم. لأن التواصل يعتمد على الاحترام. إذا لم يظهر الوالدان احترامًا لما يقوله أطفالهم من خلال الاستماع الجيد لهم، فستظل مشكلات التواصل قائمة. فمحاولة الاستماع للأطفال أثناء الطهي، أو تصفح الإنترنت، أو مشاهدة التلفاز تظهر لهم أنهم ليسوا محور الاهتمام.

مثل: "مع أمي؟ أمي إذا بدأت الحديث، فلن تتوقف أبدًا!"

عندما يكون الأطفال في حالة نفسية سيئة أو يشعرون بالحزن، غالبًا ما يرفضون الحديث. في مثل هذه الحالات، بدلاً من إجبارهم على التحدث، يمكن إرسال رسالة مفادها: "أعتقد أنك لا تريد الحديث الآن، لكن إذا أردت التحدث، سأكون دائمًا مستعدًا للاستماع إليك". هذه الرسالة ستفتح المجال للأطفال لمشاركة مشكلاتهم متى كانوا مستعدين، مما يسهم في حل المشكلات بشكل أفضل.

عند التعامل مع الأطفال في المواقف التي تحتاج إلى حل المشكلات، ينبغي التعبير عن المشاعر والأفكار باستخدام لغة الأنا. وفي المواقف السلبية، يجب تجنب لوم الطفل ودفعه للدفاع عن نفسه، بل ينبغي على الآباء التعبير عن مشاعرهم تجاه التصرفات بطريقة لطيفة ومناسبة لعمر الطفل. على سبيل المثال، يمكن استخدام عبارات مثل: "عندما تتصرف بهذه الطريقة أشعر بالسوء"، "عندما لا تنجز واجباتك في الوقت المحدد أشعر بالقلق"، "ما قلته الآن جعلني أشعر بالحزن". مثل هذه العبارات التي تعكس المشاعر الشخصية تساعد في استمرار التواصل بطريقة صحية.

على سبيل المثال: "عندما تخرج من المدرسة ولا تعود مباشرة إلى المنزل أشعر بالخوف من أن يحدث لك مكروه، لأنني لا أعرف أين تكون"، "عدم الالتزام بالمواعيد يزعجني ويشعرني بالقلق وعدم الراحة". مثل هذه العبارات تجعل الطفل يدرك أن المشكلة ليست في ذاته، بل في تصرفاته، مما يعزز فهمه لمسؤولياته دون شعوره بالهجوم الشخصي.

عند الحديث مع الأطفال، من الأفضل تلخيص ما يقولونه وإعادته لهم كنوع من التغذية الراجعة بدلاً من إضافة تعليقات جديدة. كما يجب أن تحل القصص والتجارب المشابهة محل النصائح المباشرة؛ فهذا يساعد الطفل على الشعور بأن التحديات التي يواجهها ليست فريدة أو مقتصرة عليه وحده، مما يبعث في نفسه الطمأنينة.

خاصة الآباء العاملين، يجب عليهم تخصيص وقت نوعي ومميز لقضائه مع أطفالهم. إذا استمرت صعوبات التواصل، ينبغي على الآباء إجراء نقد ذاتي وتحليل الأسباب المحتملة: هل المشكلة في أسلوب العلاقة؟أم في وجهة النظر تجاه المواقف؟أم في الحالة النفسية؟

عندما نستمع لأطفالنا بصدق، ونخصص لهم الوقت، ونعزز ثقتهم بأنفسهم أثناء الحديث، ونظهر لهم الاهتمام، ونمنحهم الفرص للتعبير، ونتقبلهم دون شروط مع إظهار التقدير، فإن هذه الممارسات ستؤدي إلى القضاء على المشكلات تدريجيًا وتعزيز العلاقة معهم.

البروفسور د. كريم بولادي

من يشترك في إثم الظلم؟

ما موقف المؤمن ورد فعله تجاه الظلم؟

في أي صف يجب أن يقف لدى انتهاكات حقوق الإنسان؟

من منظور المسؤولية المجتمعية وفكرة شخصية الجريمة، هل يمكن اعتبار الوقوف مع الظلم، أو الصمت عليه، أو التغاضي عن انتهاكات الحقوق مشاركةً في الإثم والظلم؟

في هذا المقال سنحاول الإجابة على هذه الأسئلة. بادئ ذي بدء، نود توضيح مفهوم "الظلم" بإيجاز.

غالبًا ما يُترجم مصطلح "الظالم" إلى "من يرتكب الظلم" أو "من يفعل الشر"، أما الظلم فيُفسر بـ"الظلم"، أو "الشر"، أو "انعدام العدالة"، أو "الاستبداد". المعنى الأساسي للجذر "ظ ل م" هو "وضع الشيء في غير مكانه". أما في مجال الأخلاق، فإن أول وأهم معانيه هو "تجاوز الحدود المعينة وانتهاك حقوق الآخرين". الظلم بعبارة موجزة وعامة هو تعدي الشخص على حدوده وارتكابه لما لا يحق له، أي التصرف بشكل غير عادل. وفيما يلي بعض الأمثلة التوضيحية.

المشاركة المباشرة في ظلم الظالم واعتداءاته وأفعاله القبيحة، أو دعمه، هو أمر واضح بأنه ظلم وإثم، ولا يحتاج إلى توضيح. ولكن ما يجب التركيز عليه هنا هو:

ما هو إثم الصمت تجاه ظلم الظالم؟

وما هو عاقبته الإلهية ومسؤوليته؟

يوضح القرآن الكريم أن السبب في وصم بني إسرائيل بالذل والفقر يعود إلى إنكارهم للحق وقتلهم للأنبياء الذين يبلغون رسالة الله سبحانه وتعالى. كما يُبين أنهم عوقبوا بعذاب شديد بسبب جرائمهم، ومنها قتل الأنبياء بغير حق وقولهم كلمات غير لائقة في حق الله سبحانه وتعالى. ويذكر القرآن الكريم أيضًا أن بني إسرائيل قد عوقبوا على نقضهم للعهود، وإنكارهم لآيات الله، وقتلهم الأنبياء ظلمًا، وإطلاقهم الافتراءات على السيدة مريم عليها السلام. ولهذه الأسباب، ختم الله سبحانه وتعالى على قلوبهم فلم يعودوا يستجيبون للحق. وفي القرآن الكريم، ذُكر فعل قتل بني إسرائيل للأنبياء بصيغة الجمع مثل "يقتلون"، "تقتلون"، و"قتلتم"، مما يشير إلى أن الجميع قد اعتُبروا مسؤولين عن هذه الجرائم. يُبرز هذا الاستخدام الجمعي أن المسؤولية لا تقع فقط على من ارتكب القتل فعليًا، بل تشمل أيضًا الذين سكتوا عنه أو لم يعارضوه.

ذكر القرآن الكريم أن قتل بني إسرائيل للأنبياء كان يرتكبه أفراد معينون أو قلة من الناس، ومع ذلك فقد اعتبر الجميع مسؤولين عن هذه الجرائم. ويمكن تفسير ذلك بعدم اعتراضهم أو سكوتهم أو تجاهلهم لهذه الجرائم عند وقوعها. فقد تحمل بنو إسرائيل وزر هذا التصرف بسبب لامبالاتهم، مما جعلهم في نظر الله سبحانه وتعالى شركاء في الظلم، وفي الاعتداء على حياة الإنسان، وخصوصًا قتل رسل الله وأنبيائه، ولو بشكل غير مباشر.

فعلى الإنسان أن يقف ضد الظلم، وألا يرضى بالقتل أو بأي اعتداء باطل، وأن يعبر عن رفضه لذلك على الأقل في قلبه، حتى لو كلفه ذلك حياته. وإلا، فإنه يصبح شريكًا في وزر الجريمة، والإثم، والاعتداء الذي وقع. وقد صاغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الفكرة بشكل رائع بقوله:

"من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان".

وفي هذا السياق، من المناسب أن نستذكر أبيات الشاعر الراحل محمود عاكف أرصوي إذ يقول:

لا أصفق للظلم أبدًا، ولا أحب الظالم أبدًا

ولا أسب الماضي لأجل رضا القادم.

من يهاجم أجدادي أواجهه بكل شجاعة،

وإن لم أستطع قتاله، أطرده بعيدًا عني!

وإن رأيت جرحًا ينزف، يحترق قلبي، فأتحمل المشقة والضرب لتضميده.

لا يمكنني أن أقول: "لا تهتم واستمر في طريقك"،

بل أهتم وأتحرك؛ أدوس وأُداس، لكنني أُقيم الحق.

أرسل الله تعالى النبي صالح عليه السلام إلى قوم ثمود رسولًا. إلا أنهم جحدوا رسالته وكذّبوه. ورد في القرآن الكريم عن هذا الأمر:

(قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ. مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ. وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ) [الشعراء، ١٥٣-١٥٦].

كانت الناقة معجزة من الله سبحانه وتعالى وقُدِّمت لقوم ثمود كاختبار. قال الله تعالى:

(إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ. وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ) [القمر، ٢٧-٢٨]

(أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ)
[الزمر، ٣٦]

جرائم الحرب التي تُرتكب في غزة وغيرها من الأماكن تعد اختبارًا كبيرًا للأمة الإسلامية. أولئك الذين يتخذون الظلم والاحتلال والوحشية وتقديس القوة نهجًا لهم، والذين لا يشعرون بالقلق تجاه المجازر وجرائم الإبادة التي تحدث، يتحملون المسؤولية عن هذا الظلم يوم الحساب.

أين هم المسلمون؟

أين هم الحكام الذين لا يرفعون أصواتهم؟

أين هم الملوك والقادة الذين ينامون في قصورهم دون أن يتحركوا؟

أين هم العلماء والمفكرون والفنانون المسلمون؟

هل هم شركاء في الظلم عند الله سبحانه وتعالى؟

كان على القوم أن يحترموا حق الناقة في الشرب ولا يعتدوا عليها، وأن يلتزموا بما أُمِروا به، وإلا فإن عذابًا شديدًا سينزل بهم. لكن قوم ثمود استمروا في عصيانهم وطغيانهم. وخانوا العهد الذي قطعوه، وقرروا قتل الناقة. فاستدعوا قائدًا من زعماء عصابتهم التسعة، وهو قدار بن سالف المعروف بـ"الأشقى" أو "أحيمر ثمود". استعد هذا الأخير وأخذ سلاحه مقابل مكافأة، ثم ذبح الناقة وقتلها. وقد وصف القرآن هذا المشهد في سورة الشمس قائلًا:

(كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا. إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا. فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا) [الشمس، ١١-١٤]

وبذلك أظهر قوم ثمود تمردهم وعصيانهم لأمر الله، فاستحقوا العذاب الإلهي الذي أُنزِل عليهم بسبب ظلمهم وطغيانهم.

في الآية ٢٩ من سورة القمر، يُذكر أن الناقة قُتلت على يد شخص واحد، حيث ورد الفعل في صيغة مفردة. أما في الآيات الأخرى مثل الشعراء ١٥٧، وهود ٦٥، والأعراف ٧٧، والشمس ١٤، فيتم استخدام صيغة الجمع "عقروا" (قتلوا) للدلالة على أن المجموعة كانت متورطة في قتل الناقة. ورغم أن الفعل في بعض الآيات جاء بصيغة الجمع، إلا أنه لا يوجد تناقض، لأن القوم، رغم أن القتل تم على يد فرد، لم يعترضوا على قتل الناقة، وبالتالي أصبحوا جميعًا شركاء في الجريمة. في الآية ٢٩ من سورة القمر، يُذكر أن القوم "فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ"، مما يشير إلى أن الجميع كانوا متورطين في تنفيذ هذا الفعل الشنيع، وتُعد هذه المشاركة في الظلم بمثابة اشتراك في الإثم. لذلك نزل العقاب الإلهي على الجميع عقوبة جماعية. فالقبول بالظلم يُعتبر ظلمًا في حد ذاته، وأي مشاركة فيه تترتب عليها مسؤولية.

كل إنسان وكل مجتمع، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، خضع للاختبارات الإلهية عبر التاريخ. كانت معركة الحق ضد الباطل مستمرة، حيث كان بعض الناس يقفون مع الحق وأهله، بينما كان آخرون يقفون مع الظلم وأهله. وفي الوقت الحاضر، يمر العالم بأسره بمحنة إلهية في جميع المجالات. الحروب، والاحتلال، والظلم، والجرائم، والمجازر تزداد في مختلف أنحاء العالم. وتعد جرائم الحرب التي تُرتكب في غزة وغيرها من الأماكن اختبارًا كبيرًا للأمة الإسلامية. أولئك الذين يتخذون الظلم والاحتلال والوحشية وتقديس القوة نهجًا لهم، والذين لا يشعرون بالقلق تجاه المجازر وجرائم الإبادة التي تحدث، يتحملون المسؤولية عن هذا الظلم يوم الحساب.

أين هم المسلمون؟ هل هم شركاء في الظلم عند الله؟

الغرض من الأخلاق أن يهذب الإنسان من صفاته وخصائصه ليكون "إنسانًا كاملا" في نظر الإسلام يستشعر أنه تحت نظر الحق جل وعلا فبذلك تصير الخصائص العليا مثل اللطافة والظرافة والأدب والحياء والكرم والجود والشفقة والرحمة وغيرها من الصفات الكريمة فطرة طبيعية منقوشة في جوهر الإنسان . وفي هذا الصدد ، فإن الأخلاق جزء لا يتجزأ من الدين والإيمان ، بل هي بمثابة الروح والجوهر من الدين . كما أن نبينا ﷺ الذي أرسل رحمة للعالمين ودليل هدايتنا يبين عن وظيفته العظيمة هذه بقوله: **"بعثت لأتمم حسن الأخلاق"** (موطأ مالك ، الجامع، حسن الخلق ٨)

آيدن باشار

المسلم متصالح مع الموت

لا شك أن للحقيقة المتعلقة بالموت جانبٌ يُثير الرهبة في النفس البشرية. ومع ذلك، تختلف نظرة الناس إلى الموت. فبالنسبة لأولئك المرتبطين بالدنيا ارتباطًا مفرطًا، فإن الموت يعتبر أمرًا مُخيفًا لأنه يعني الفراق عن الأحبة والتخلي عما يظنون أنه ملكهم.

أما بالنسبة لأولئك الذين يرون الحياة والموت من تدبير الله سبحانه وتعالى، فإنهم يعتبرون الموت قضاءً من الله، فيعيشون بسلام مع فكرة الموت، مُدركين قوله سبحانه وتعالى:

(وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى. وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا) [النجم، ٤٣-٤٤].

وكما ورد في قوله تعالى:

(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) [الأنبياء، ٣٥]

فإنه لا مهرب من حقيقة الموت. وبما أنه لا يمكن التغلب على الموت، فإن الطريق الأكثر حكمة هو أن نحيا حياتنا مع الأخذ بعين الاعتبار حتمية الموت. وبدلًا من الخوف المفرط من الموت الذي يُفسد الحياة، يمكننا التأمل فيه لجعل حياتنا أكثر معنى.

لا تنسَ الموت

عندما سُئل النبي محمد ﷺ: أي المؤمنين أكيس؟ قال: "أكثرهم للموت ذكرًا، وأحسنهم لما بعده استعدادًا، أولئك الأكياس". [ابن ماجه، الزهد، ٣١].

إن التفكر بالموت يجعل الإنسان أكثر عقلانية، لأنه يعلم أنه سيُحاسب يومًا ما على أفعاله. أما الذين لا يفكرون في الموت، فقد يعيشون حياة اللهو واللعب، ويظنون أن الحياة مجرد متعة ومرح.

كان النبي ﷺ يذكّر الناس بالموت في كل فرصة، وكان يعتبر الابتعاد عن فكرة الموت ضعفًا في القلب. وقد أشار إلى ضعف يُسمى "الوَهْن"، وعَرَّفه بقوله:

"حبكم الدنيا وكراهيتكم القتال". [أحمد، ٥، ٢٧٨]

مدن الإسلام هي موطن الأشخاص الذين يتصالحون مع الموت. ففي الحضارة الإسلامية، لا توجد مسافة بيننا وبين القبور كما هو الحال في بعض الدول الأوروبية، حيث تُبنى أسوار ضخمة بين الأحياء والقبور. في مدن الإسلام، يمر الناس دائمًا بالقرب من المقابر أثناء تنقلاتهم، وعند مرورهم، يقرؤون الفاتحة. وفي قلب المدينة، توجد المساجد، وغالبًا ما تحتوي ساحاتها على قبور العلماء والمتصوفين، بالإضافة إلى قبور الحكام الذين خدموا تلك المدينة.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"زر القبور تذكر بها الآخرة، واغسل الموتى فإن معالجة جسد خاو موعظة بليغة، وصلِّ على الجنائز لعل ذلك يحزنك فإن الحزين في ظل الله يوم القيامة". [الحاكم، المستدرك، ٤، ٣٦٦].

الحضارة الإسلامية

يمكننا القول من منظور الحضارة إن مدن الإسلام هي موطن الأشخاص الذين يتصالحون مع الموت. ففي الحضارة الإسلامية، لا توجد مسافة بيننا وبين القبور كما هو الحال في بعض الدول الأوروبية، حيث تُبنى أسوار ضخمة بين الأحياء والقبور. في مدن الإسلام، يمر الناس دائمًا بالقرب من المقابر أثناء تنقلاتهم، وعند مرورهم، يقرؤون الفاتحة. وفي قلب المدينة، توجد المساجد، وغالبًا ما تحتوي ساحاتها على قبور العلماء والمتصوفين، بالإضافة إلى قبور الحكام الذين خدموا تلك المدينة.

وعلى الرغم من أن فن النحت لم يُرحب به كثيرًا في الحضارة الإسلامية، إلا أن فن النقش على شواهد القبور قد تطور. كان يُنظر إلى شواهد القبور كنوع من التذكير الدائم بالعبر، إذ يُعتبر كل قبر ناطقًا بصمت بلسان الحال ويقدم نصيحة حية.

"إن كل شاهد قبر مغطى بصمت هو نصيحة حية تتحدث بلسان حالها. إن وجود المقابر في وسط المدن، وعلى جوانب الطرق، وفي ساحات المساجد، هو نوع من التأمل العملي في الموت، أي التفكر في الموت وتنظيم الدنيا وفقًا لذلك". [عثمان نوري طوباش، الأنفاس الأخيرة، ١١]

كما أن تصوف المتصوفين في النظر إلى الموت يتسم بلطف وهدوء. فبالنسبة لمن نجح في بناء علاقة مع الخالد، يصبح الموت له شيئًا مختلفًا. ومن بين القصص التي تعكس هذا التصور، يُذكر أن أحد المتصوفين رأى شخصًا يبكي بشدة فسأله: "لماذا تبكي هكذا؟" فأجاب الرجل: "قد توفي صاحبي"

فقال له المتصوف:"يا جاهل! لماذا تتخذ من ميت صاحبًا؟ (اتخذ صاحبًا خالدًا)."

هب أنك مت

إن الموت وما بعده من مراحل قد وردت في القرآن الكريم وفي الأحاديث الشريفة. من هذه المراحل الأولى هي حياة القبر. إذ قال النبي عليه الصلاة والسلام:

"إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار" [الترمذي، القيامة، ٢٦]،

وبهذا يكون قد اختصر حياة القبر. وفقًا لعقيدة أهل السنة، فإن حقيقة أن منكرًا ونكيرًا سيحققان في القبر مع الميت أمر مسلَّم به. كما أن إرجاع الروح إلى الجسد في القبر حق، وكذلك الضغطة والعذاب في القبر، وهما أمران يتعلقان بكل الكافرين وبعض العصاة من المسلمين.

يتحدث الإمام المحاسبي عن العمليات التي تحدث للإنسان بعد وضعه في القبر. كما يتناول تصويرات مفزعة للجنّة والنار، ويصف بشكل لافت كيف سيذكر أهل النار في الدنيا مشروباتهم الباردة واللذيذة، وكيف سيرغبون في الاغتسال. فيقول:

"ستسرع إلى أحواض المياه المغلية للتبرد، وعندما تغمر نفسك في الماء المغلي، ستتساقط بشرتك من رأسك إلى قدميك. ثم، على أمل أن تخفف، ستعود إلى النار. وعندما تشعر بشدة حر النار، ستعود إلى الماء المغلي. وهكذا، ستتردد بين النار والماء المغلي".

من خلال هذه الكلمات، يتضح أن الحياة اليومية في جهنم التي لا يرغب أي شخص في الذهاب إليها هي بين الأحواض المغلية والنار. إنه مشهد مفزع، أليس كذلك؟ خاصة لأولئك الذين يأكلون حقوق الآخرين، ويتفاخرون في الأرض، ويتركون الصلاة، ويتعاملون بالربا، ويرتكبون الشرك والذنوب الكبيرة. يجب عليهم أن يتأملوا في هذا المشهد بعبرة.

هنا قد يتبادر إلى الذهن سؤال:

"هل من الصواب أن يتم تخويف الناس بتصوير الجحيم؟"

وقد أجاب الإمام الحسن البصري رحمه الله عن ذلك، عندما سُئل عن كيفية التصرف حيال أولئك الذين يثيرون الخوف في القلوب بتخويف الناس من جهنم وعذابها قائلًا:

"والله لأن تصحب أقوامًا يخوفونك حتى يدركك الأمن خير لك من أن تصحب أقوامًا يؤمنونك حتى يلحقك الخوف". [أبو نعيم، حلية الأولياء، ٢، ١٥٠].

يا من تخشى الموت!
تعرف على النبي الطاهر النقي المبعوث رحمة للعالمين.
واجعل هذه الغاية على رأس قائمة أهدافك، وتطلعاتك. فإن فعلت ذلك فلن تحيط بك الشرور والأزمات. وتذكر أن الوقت قصير، ثم توجه إليه من أعماق القلب، وقل: لتكن سنتك منقوشة على لائحة طعامنا وشرابنا، وفي صدورنا! كن أنت هاجسنا وهمنا ونحن أمتك العارفة!.

تسليط القرآن الكريم الضوء على الاكتشافات العلمية

الدكتور. مراد كايـــا

يوجد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تسلط الضوء على التقدم العلمي والاكتشافات، وهذا من إخبار القرآن الكريم عن الغيب على نحو معجز.

إن غاية القرآن الأساسية هي تثبيت التّوحيد في القلوب وتوجيه وإرشاد الناس، ويقديم كل المواضيع التي تناولها على أساس هذه الغاية الرئيسية، وإلى جانب هذا فإن المعارف والمعلومات التي قدّمها للناس في المواضيع الدّاخلة في ميدان العلوم الطبيعية مطابقة للحقيقة. ولنعرض بعضاً من الأمثلة عليها:

يعطينا الإسلام بعض المعلومات الأصلية عن تناسل الإنسان وتشكل الجنين في الرحم والتي لم يتمكن الطب الحديث كشفها إلا متأخراً. وهذه المعلومات يفصِّلُها القرآن الكريم في الآية ٥ من سورة الحج والآيتين ١١ و ١٣ من سورة المؤمنون.

يعترف البروفسور الدكتور كيث ل. مور في أثره الذي صنفه في علم الأجنة بأن العلم مطابق للقرآن الكريم بل حتى أن القرآن يترأس العلم ويتقدمه بأمثلته وتعاريفه التي ذُكرت فيه وذلك بعدما أوضح الكاتب في أثره المراحل التي يمر بها الإنسان في الرحم وأعقب ذلك بأنه قارنها بما في القرآن الكريم. ونتيجة للأبحاث التي قام بها كيث أعجب ووقع في حيرة في الله تعالى ورسوله ﷺ، ومِن ثَمَّ صدق معجزة القرآن الكريم هذه الواردة من قبل ١٤٠٠ سنة واطمأن لذلك، وقام بإضافة المعلومات التي حصل عليها من القرآن الكريم إلى الطبعة الثانية من كتابه المسمى (Before We Are Born: قبل أن نولد)، وعندما سئل:"كيف توضح وجود هذه المعلومات في القرآن؟" يجيب: "إن ذلك القرآن ليس إلا وحياً أنزل من قبل الله"

لقد تم اكتشاف ازدياد عدد المخلوقات وابتعاد المجرات عن بعضها بسرعة هائلة في السنوات الأخيرة، حيث إن المجرات العظيمة تبتعد عن بعضها البعض مع البعد الكائن بينها على نحو متناسب خطياً، ووفق هذا القانون يوضح أن الكائنات جميعها من أولها إلى آخرها تحت تصرف قوة لا محدودة، فمثلاً: تبلغ سرعة ابتعاد مجرة تبعد عنا ١٠ مليون سنة ضوئية ٢٥٠ كلم في الثانية، في حين مجرة أخرى تبلغ المسافة بيننا وبينها ١٠ مليار سنة ضوئية تبتعد هي الأخرى عنا بسرعة ٢٥٠ ٠٠٠ كلم في الثانية. ويشار إلى هذ الأمر في القرآن الكريم على هذا النحو:

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذاريات، ٤٧)

إن ربنا عز وجل يحفظ الدنيا من النيازك وهي قطع تظهر من انفجار النجوم التي انتهت حياتها في السماء. وإن كوكبا المشتري وزحل بجاذبيتهما الكبيرة هما في موقع

حارس لا يسمح للكثير من الأجسام بالمرور والتي قد تُلحِق الضرر بكوكب الأرض. وقد تظهر بعض النيازك التي تعبر هذين الكوكبين وتقترب من الأرض، وهذه المرّة يظهر أمامها حام آخر وهو القمر، وبما أنه ليس له غلاف جوي فإنّ كلّ نيزك ساقط عليه يرتطم بسطحه، ويمكن رؤية الفوهات الناجمة عن الارتطام بسطح القمر حتى بواسطة منظار صغير...وأما النيازك المتجاوزة حاجز القمر تبدأ بالاحتراق عند اجتيازها الغلاف الجوي في حال لم تكن كبيرة جداً، فتتفتت النيازك الناجمة عن الحادثة التي نطلق عليها اسم: (الشهب) في طبقة الغلاف الأوسط إلى ذرات صغيرة كالغبار قبل وصولها السطح، ثم تتحول كل واحدة من هذه الذرات الصغيرة إلى نواة لحبيبات المطر. إن الغلاف الجوي يحمي الأرض من الإشعاعات الخطيرة الآتية من الفضاء أيضاً. ويشار إلى هذه الحقائق في القرآن الكريم في هذه الآية: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء، ٣٢)

ومما مر يتضح أن القرآن الكريم في الوقت الذي يقوم فيه بتنظيم أفعال الإنسان وسلوكياته، يقوم من جهة أخرى بلفت الأنظار إلى أسرار الكائنات ويحثنا على قراءتها ككتاب وإظهار ما تحتويه من الأسرار بعد دراستها. لقد جاء في القرآن الكريم: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ (الحجر، ٢٢)

ولقد اكتشف إلقاح الرياح للنباتات والسحب بعد انقضاء عصور على نزولها. وفي الآيتين ١٩ و٢٠ من سورة الرحمن: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾

وهناك ما يشبه هذا في الآية ٥٣ من سورة الفرقان والآية ٦١ من سورة النمل.

إن الحقيقة المبينة في هذه الآيات هي معجزة للقرآن الكريم في عصرنا هذا، حيث ثبت في الاكتشافات المؤخرة وجود سد مجهول أو ستارة غير مرئية في مضيق جبل طارق يحول دون اختلاط ماء بحر الأبيض المتوسط بماء الأطلسي، وبهذا فلا يختلط ماء كل من البحرين محافظاً على تكوينته الأصلية، وقد أثبت القبطان كوستيوا أنه فيما بعد عُثِر على مانع وحاجز في نقاط اجتماع ماء في كل البحار التي تختلف في التركيبات.

وقد رأى أ. براون آيات متعلقة بالبحر، وبعد التفكر في الآيات التي تتحدث عن استخراج اللحم الطازج واللؤلؤ والمرجان من الماء المالح والعذب، وتسيير الرياح السفن الشراعية، سأل أحد المسلمين القاطنين في أحد سواحل البحر في الهند بعد وصوله إليها:

"أرَكب نبيكم البحر وسافر فيه؟" فأجابه: "لا فما نعرفه أنه لم يسافر في البحر"، فأيقن البحار الانجليزي أن القرآن لم يؤت للنبي ﷺ من طريق غير الوحي، وأسلم بعدما وجد أن كلام القرآن الكريم أصح وأدق معنى بعد أن قارن ما فيه بالتوراة والإنجيل، ثم ذهب إلى مصر والتقى بالعلماء...يقول الأستاذ في الرياضيات غاري ميللر:

"كانت ثمة نظرية معروفة تتعلق بالذرة قبل نبوة محمد، كان قد طرحها ديموكريتوس فيلسوف يوناني، وقد أوضح من أتى بعده أن المادة مكونة من جزيئات صغيرة جداً لا ترى بالعين المجردة ولا تنقسم تسمى بالذرات، ولكن العلم الحديث أثبت أنه بإمكان الذرة الجزء الأصغر في المادة والحاملة لخصوصيات المادة نفسها الانقسام والتفرق بالشكل نفسه، وهذه المعلومة تعد اكتشافاً حصل نتيجة التطورات الجارية في العصر السابق فهو حقيقة علمية، إلا أنه مما يلفت الانتباه أن هذه المعلومات قد أعلمنا بها قبل ١٤ عصراً في القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (يونس، ٦١)

تتحدث الآية عن مخلوقات أصغر من الذرة، وما من أدنى شك في أنه لا يمكن أن يكتب هذا أي كاتب عربي في هذا الوقت؛ لأن ما يُعرف حينها بصغره عندهم هو الذرة، وهذا دليل على أن القرآن لن يتقلص ولن يندرس على مدى الزمن."

الحمد

من دروس
الشيخ محمود سامي رمضان أوغلو

كان النبي ﷺ يبدأ كل أقواله بالحمد. ونحن أيضًا ينبغي أن نحمد الله كثيرًا، فالحمد هو سر كل العبادات. يثني الله على الحامدين في الأرض والسماء، وسيكون في مقدمة أهل الجنة من يُطلق عليهم "الحمادون"، أي الذين يكثرون من حمد الله.

الحمد لله يكون بالقول واللسان، وذلك بقول:

"الحمد لله رب العالمين".

وهذه أعظم الدعوات وأفضلها. فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أفضل الدعاء الحمد لله".

وكذلك يكون الحمد بالقلب. أن يذكر القلب الله وينشغل بذكره، وينير بنوره، ويمتلئ بحب الله؛ فهذا هو حمد القلب. وعندما يحمد القلب باللهج بالذكر والنور، فإن الصدر بأكمله يشارك في هذا الحمد، وكذلك الروح والسر، مما يضيء الصدر.

بالإضافة إلى ذلك، يكون الحمد بجميع أعضاء الجسد. فعندما يضيء الجسد بنور الحمد الخارج من القلب واللسان، تشترك جميع الأعضاء في الحمد. العقل يحمد بالتفكير والتأمل، والجوارح تحمد، وهكذا تشارك كل الأعضاء الباطنية والظاهرية في حمد الله. فكل الحمد لله وحده.

المؤمن مأمور أن يحمد الله في كل وقت وحال، فالحمد عبادة عظيمة. يقول الله تعالى في وصف المؤمنين:

(التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ) [التوبة، ١١٢].

وقد بُشِّر المؤمنون بهذه الصفات. الشكر أيضًا يكون باللسان والقلب والجسد. كما يجب أن يكون الشكر بالمال، وذلك بالإنفاق في سبيل الله والتصدق. الشكر يزيد النعم، كما قال الله تعالى:

(لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) [إبراهيم، ٧].

أوحى الله إلى أحد الأنبياء:

"أبلغ عبدي فلانًا أنني قد قضيت له بنصف عمره غنيًا ونصفه الآخر فقيرًا، وليختر أيهما يريد أولا".

فأخبر النبي هذا الرجل، فسأل زوجته: "ماذا نختار؟"

فقالت الزوجة: "لنختر الغنى أولًا، بشرط أن ننفق مما رزقنا الله على الفقراء والمحتاجين".

وافق الزوج، وبدأت النعمة تتدفق عليهما، وكانا يطعمان المحتاجين، ويكسوان العراة، ويعطفان على الفقراء.

وعندما اقترب وقت الفقر، أوحى الله إلى نبيه: "لقد سررت بعبدي وزوجته، إذ شكروا نعمتي وأفادوا بها الآخرين. لذا، رفعت عنهم الفقر، ومددت لهم الغنى طوال حياتهم".

فالشكر يزيد النعم، وهو شرط للعبادة الصحيحة. قال الله تعالى:

(فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) [النحل، ١١٤]

نسأل الله أن يوفقنا جميعًا إلى الشكر الحقيقي له. آمين!

الإخلاص وحُسن النية

من دروس
الشيخ موسى طوبّاش

قال الله تعالى:

(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) [البينة، ٥]

وقال: (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) [الزمر، ٣]

وقال رسول الله ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات".

النية تتقدم على العمل. قد تكون نية العبد في عبادته الخوف من النار أو طلب نعيم الجنة. فمَن عبد الله طلبًا للجنة، أصبح عبدًا لبطنه وشهواته، حيث تجذبه شهوات البطن والفرج إلى حيث يرغب. أما من عبد الله خوفًا من النار، فهو كعبد سيئ يعمل فقط بسبب الخوف. كلاهما لا يُعد عمله خالصًا لله. أما العبد المحبوب، فهو الذي يعمل لله وحده، لا لأجل الجنة ولا خوفًا من النار. يشبه ذلك من يحب حبيبه لذاته، وليس من أجل الذهب أو الفضة. فإن كانت نية الإنسان الذهب والفضة، فإنه يصبح عبدًا لهما. كذلك من لم يكن الله تعالى محبوبه ومقصوده، فلا يستطيع أن يخلص في نيته. أما من كان الله محبوبه، فإن عبادته تكون تفكرًا في جمال الله ومناجاته. هؤلاء هم أصدقاء الله العارفون به.

يجب أن تكون عبادتنا خالصة لوجه الله تعالى. العمل الذي يُؤدى لغير الله، ليس فيه خير. العبادة التي تُؤدى لله يكون لها قيمة عظيمة. أما إذا كان الهدف منها المدح أو الوصول إلى منافع دنيوية، فإنها تجلب غضب الله وقد تؤدي بصاحبها إلى النار، حتى لو بدت الأعمال ظاهريًا بلا عيب.

جزاء الأعمال يكون حسب النية والإخلاص. من يؤدي واجباته بنيَّة خالصة ينال نعم الدنيا والآخرة، أما من يفتقر إلى الإخلاص، فإنه يخسر. يكافئ الله تعالى على العبادات كما يكافئ على النيات الطيبة الصافية في القلوب، وربما يكافئ على النيات بأكثر مما يكافئ على الأعمال. الحمد لله!

إن من أعظم النعم أن يحب العبد الله تعالى ويُحسن الظن به ويكون متوكلًا عليه. وكذلك أن يحب العبد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام رضي الله عنهم ويُحسن الظن بهم، فهذا فضل كبير من الله.

محبة أولياء الله واحترامهم وحسن الظن بهم نعمة عظيمة لا يمكن وصفها. يقول الله تعالى في الحديث القدسي:

"أنا عند ظن عبدي بي".

الفاسق الذي يُحسن الظن برحمة الله ويأمل عفوه أقرب إلى الله من عابد يقع في اليأس ويُسيء الظن برحمة ربه. من مكائد الشيطان أن يُدخل اليأس إلى قلوب المؤمنين ويزرع فيهم الوساوس.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"جعل الله الرحمة مئة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا، وأنزل في الأرض جزءا واحدا، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها، خشية أن تصيبه". [البخاري، الأدب، ١٩].

بالإيمان وصفاء النية تُنال الدرجات المعنوية. كل شيء يُفتح بمعونة الله تعالى. الإيمان والإخلاص ونقاء النية من أعظم عطايا الله، وهو الحافظ والمعين لمن وهب له هذه النعم.

عثمان نوري طوباش

الصبر والثبات

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ٢٠٠)

أمام مصائب الحياة والابتلاءات والمفاجآت فيها مُجبَرون على التحلي بالصفات السامية مثل الشكر والتوكل والرضا بالقدر والصبر على البلاء والعزيمة والشجاعة والتضحية والقناعة وغنى القلب والإيثار والكرم والتواضع وغيرها، حتى ننجو بأنفسنا من الفِتَن. وأعظم مرشد أكرمَ اللهُ به البشرَ جميعًا ليكون أسوة في هذه الصفات إنما هو نبينا محمد ﷺ بسيرته العظيمة. فكان عليه الصلاة والسلام أسوةٌ بصبره وتسليمه في الأيام الشِداد والمصائب الجِسَام.

من الصفات السامية الذي يجب على المؤمن أن يتحلى بها الصبر الذي يأتي على معان عدة منها المحافظة على التوازن أمام الأحوال المادية والمعنوية المتبدلة، وصيانة الاعتدال، وإظهار التحمل على الابتلاءات، واحتمال المعاناة، ومقاومة المحن والمشاق برباطة جأش، والثبات على الإيمان مع تقلب الأحوال المادية والمعنوية.

والمتانة هي المتانة والثبات أمام كل أنواع المصائب الحالّة بالمرء وقوة التحمل والصلابة.

فالصبر من هذا الجانب مركز الأخلاق الحميدة وشطر الإيمان ومفتاح السعادة.

وأول شروط الصبر إظهاره في أول وقوع الحادثة التي تقتضيه، ولا أجر للصبر في غير وقته.(انظر: البخاري، الجنائز، ٣٢)

ثم إن الصبر مركز الأخلاق الحميدة، وشطر الإيمان، ومفتاح السعة والسعادة، وفضيلة عظيمة تصل بالمرء إلى نعم الجنة، والصبر التمتع بالسكينة من دون إفساد التوازن تجاه الحوادث التي تبعث الاستياء وتتسبب بالضيق، والاستسلام للحق تعالى.

لقد كان الأنبياء والأولياء يظهرون نماذج بالغة الروعة في شأن الصبر حتى ظفروا بعون الله سبحانه وتعالى، ولذا فينبغي أن يكونوا قدوتنا في أمر الصبر

أيضاً. وإن الناحية الدنيوية للصبر أليمة، وناحيته الأخروية مشرقة، فالذين يتحملون آلام الصبر في صدورهم يصلون إلى دولة الأبدية والتي هي الجنة ويبلغون رضا الله سبحانه وتعالى. وعلى أي حال فإن التفكير بالنعمة والحكمة والجزاء الإلهي لأوامر الله سبحانه وتعالى ونواهيه يُسَهّل الصبر. وأول شرط الصبر إظهاره في بداية الحادثة التي تستلزمه، فالصبر إن لم يتم إظهاره في وقته لا مكافأة كبيرة له.

إن مكانة الصبر -الذي يدخل في بنية جميع الأخلاق الإسلامية- عظيمة جداً، يتطرق القرآن الكريم في أكثر من سبعين موضع فيه إلى الصبر، ويوصي النبيَّ عليه الصلاة والسلام -ومن خلاله جميع أمته- بالصبر في الآيات الكريمة على النحو التالي:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٣)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ٢٠٠)

وقد أصدر محمد حمدي يازِر إلمالي في تفسير هذه الآية هذا البيان:

«وإحدى أسماء الله سبحانه وتعالى الحسنى الاسم الشريف «الصبور»، فمن كان عنده صبر فلديه تجلّ من قدرة الله سبحانه وتعالى، وبالأخص إن اجتمع أصحاب الصبر هؤلاء مع بعضهم، يضحون مظهراً لعون الله تعالى، والله تعالى وليهم ومتوليهم على الدوام».

ومهما اشتد ألم الصبر في الدنيا، زاد الثواب عليه في الآخرة. ومَن احتمل ألم الصبر، نال رضا الله تعالى وجنانه. وغالباً ما تأتي المكافآت الكبيرة عقب الصبر العظيم وتحمّلِ المصيبة والابتلاء، تقول الآية الكريمة:

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠)

وقد قال رسول الله ﷺ:

«الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية»

(السيوطي، ٢، ٤٢؛ الديلمي، ٢، ٤١٦)

ويخبرنا عليه الصلاة والسلام إن الله تعالى يقول:

«ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة» (البخاري، الرقاق، ٦/ ٦٤٢٤)

«إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة» (البخاري، المرضى، ٧/ ٥٦٥٣؛ الترمذي، الزهد، ٥٨)

الصبر من أهم مبادئ ديننا، وامتحان الصبر من أصعب الاختبارات، ولذا يقول أبو بكر ﷺ:

«إن التنعم بالعافية أفضل عندي من التعرض للامتحان والصبر عليه».

عن مصعب بن سعد، عن أبيه، قال: قلت: يا رسول الله، أي النَّاس أشدُّ بلاءً؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى العبد على حسب دينه، فإن كان في دينه صلبا، اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة، ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد، حتى يتركه يمشي على الأرض، وما عليه من خطيئة»

(ابن ماجة، الفتن، ٢٣/ ٤٠٢٣)

صور الفضيلة

كانت حياة النبي عليه الصلاة والسلام من أولها إلى آخرها مليئة بأروع نماذج الصبر، فقد واجه سيدنا عليه الصلاة والسلام معاناة كثيرة، وذاق كل أنواع المحن والضيق منذ ولادته إلى حين وفاته، حيث فقد والده قبل ولادته، وحُرِمَ من أمه في السادسة من عمره، ومات جده لما كان في الثامنة من عمره، وعمه أبا طالب الذي كان يحميه في السنة العاشرة من بعثته، وبعد ثلاثة أيام زوجته الحبيبة خديجة ﵂ والتي كانت أكبر سند له في دعوته، وفي غزوة أحد استشهد عمه حمزة سيد الشهداء، وفقد ستة من أولاده السبعة وكثيرا من أحفاده، بعضهم في سنّ صغيرة والبعض الآخر في سنّ البلوغ إذ أرسلهم واحداً تلو الآخر إلى ربه تعالى، وقد دفن بيديه الكثير من أصحابه الذين يكنّ لهم الحب الكبير، وتعرّض لأنواع التعذيب والشتائم والافتراءات، إلى جانب الجوع والفقر، وأصيب بالجراح في المعارك، وابتلي بالأمراض المحمومة، إلا أنه لم تفسد أيٌّ منها متانته وتوازنه، بل كان مثالاً على الصبر والرضا في كل حال.

ويا ترى كم منَّا وارى الثرى ستة من أولاده؟

وكم منا لفظ أولادُه وأحفادُه أنفاسَهم الأخيرة وماتوا بين يديه؟

وهل من أحد مُزِّقَ بدن عمّه النحيل ومضغت رئته؟ وباختصار هل من أحد ابتلي بأشد مما ابتلي به النبي عليه الصلاة والسلام، ثم أظهر قوة على الصبر ورضى بما قدره الله له كما صبر ورضي رسول الله عليه الصلاة والسلام؟

كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يبلِّغ الإسلام في الأسواق التي كانت تقام في مواسم الحج في عصر الجاهلية، فكان يتعرّض حينها للكثير من المحن والمشاق والإيذاء، وهو يقابل جميعها بالصبر ولا يُظهر أي شكوى، وفي إحدى المرات أتى إلى بني عامر بن صعصعة، فدعاهم إلى اللَّه، وعرض عليهم نفسه، فقال بحيرة بن فراس (رجل منهم): والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، (ثم قام بحيرة) فغمز شاكلة ناقة النبي عليه الصلاة والسلام، فقمصَت بالنبي عليه الصلاة والسلام فألقته، وعندنا يومئذ ضباعة بِنْت قُرط كانت من النسوة اللاتي أسلمن بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام بمَكَّة، جاءت زائرة إلى بني عمها فقالت: يا آل عامر ولا عامر لي أيسمع هذا برسول الله عليه الصلاة والسلام بين أظهركم، لا يمنعه أحد منكم؟! فقام ثلاثة من بني عمها إلى بحيرة فأخذ كل رجل منهم رجلاً فجلد به الأرض، ثم جلس على صدره، ثم علقوا وجهه لطماً، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**اللهم بارك على هؤلاء**»، فأسلموا وقتلوا شهداء. (ابن حجر، الإصابة، ٤، ٣٥٣)

> الإيمان بالله وحده ومعرفته حق المعرفة، السبب الرئيس على التحلي بالصبر والثبات، فالإيمان الجازم إذا خالطت بشاشته القلوب يزن الجبال ولا يطيش، وإن صاحب هذا الإيمان المحكم وهذا اليقين الجازم يرى متاعب الدنيا مهما كثرت وكبرت وتفاقمت واشتدت ـ يراها في جنب إيمانه ـ طحالب عائمة فوق سَيْل جارف جاء ليكسر السدود المنيعة والقلاع الحصينة، فلا يبالي بشيء من تلك المتاعب أمام ما يجده من حلاوة إيمانه، وطراوة إذعانه، وبشاشة يقينه.

ويذكر لنا طارق بن عبد الله المحاربيّ ما شاهده من تحمل النبي عليه الصلاة والسلام في سبيل تبليغ الإسلام والمشاق التي واجهها بالرضا والصبر، فيقول:

«إني بسوق ذي المَجَاز، إذ أنا بإنسان يقول: يا أيها الناس، قولُوا لا إلٰه إلاّ الله تُفْلِحُوا، وإذا رجل خلفه

يرميه، قد أدمى ساقيه وعرقوبيه، ويقول: يا أيها الناس، إنه كذاب فلا تصدقوه، فقلت: مَنْ هذا؟ فقالوا: محمد، زعم أنه نبي، وهذا عمه أبو لهب يزعم أنه كذاب» (الدارقطني، السنن، بيروت ١٩٨٦، ٣، ٤٤ ـ ٤٥)

وإحدى الأمثلة التي توضح مدى صبر رسول الله عليه الصلاة والسلام يبينها لنا مدرك الأزدي بقوله:

«حججت مع أبي فلما نزلنا منى إذا نحن بجماعة، فقلت لأبي: ما هذه الجماعة؟

قال: هؤلاء القوم الذين اجتمعوا على صابئ لهم، فإذا رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول:

"يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا"، وهم يردون عليه ويؤذونه حتى انتصف النهار وانصدع الناس عنه، أقبلت امرأة قد بدا نحرها تحمل قدحاً ومنديلاً، فتناوله منه، فشرب وتوضأ ثم رفع رأسه، فقال: يا بنية خمري عليك نحركِ ولا تخافي على أبيك، قلنا: من هذه قالوا هذه زينب بنته» (الهيثمي، ٤، ٢١)

يقول عبد الله بن مسعود ﷺ:

قسم رسول الله عليه الصلاة والسلام قسمة، فقال رجل من الأنصار: والله ما أراد محمد بهذا وجه الله، فأتيت رسول الله عليه الصلاة والسلام فأخبرته، فتمعَّر وجهُه، وقال:

«رحم الله موسى، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر».

وفي رواية:

«ويلك! ومن يعدل إن لم أعدل، لقد خبت وخسرت إن لم أعدل»

قال أنس: قلت: لا جرم لا أرفع إليه بعدها حديثاً. (الدارقطني، السنن، بيروت ١٩٨٦، ٣، ٤٤ ـ ٤٥)

ووفق ما يرويه أنس بن مالك ﷺ قال: مرّ النبي عليه الصلاة والسلام بامرأة تبكي عند قبر، فقال:

«اتقي الله واصبري»

قالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي عليه الصلاة والسلام، فأتت باب النبي عليه الصلاة والسلام فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال:

«إنما الصبر عند الصدمة الأولى» (البخاري، الجنائز، ٣٢/ ١٢٨٣)

ويقول عبد الله بن مسعود ﷺ:

دخلت على رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو يوعك، فقلت: يا رسول الله، إنك لتوعك وعكاً شديداً؟

قال: **«أجل، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم»**

قلت: ذلك بأن لك أجرين؟ قال:

«أجل، ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى، شوكة فما فوقها، إلا كفر الله بها سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها» (البخاري، المرضى، ٣، ١٣، ١٦/ ٥٦٤٨؛ مسلم، البر، ٤٥/ ٢٥٧١)

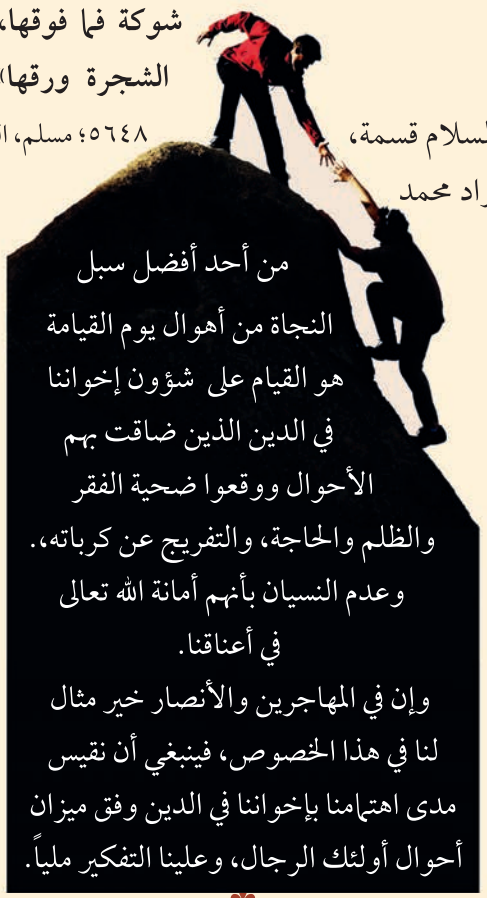

من أحد أفضل سبل النجاة من أهوال يوم القيامة هو القيام على شؤون إخواننا في الدين الذين ضاقت بهم الأحوال ووقعوا ضحية الفقر والظلم والحاجة، والتفريج عن كرباته، وعدم النسيان بأنهم أمانة الله تعالى في أعناقنا.

وإن في المهاجرين والأنصار خير مثال لنا في هذا الخصوص، فينبغي أن نقيس مدى اهتمامنا بإخواننا في الدين وفق ميزان أحوال أولئك الرجال، وعلينا التفكير ملياً.

قال عبد الله بن مسعود ﷺ:

«كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» (البخاري، الأنبياء، ٥٤؛ مسلم، الجهاد، ١٠٤)

وكم هي معبرة هذه الحادثة التي ترينا أن جزاء الصبر الجنة:

فعن عطاء بن أبي رباح، قال: قال لِي ابْنُ عَبَّاسٍ:

ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ،فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي، قال:

«إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك»

فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف، فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعا لها. (البخاري، المرضى، ٦/ ٥٦٥٢؛ مسلم، البر، ٥/ ٢٥٧٦)

هذه هي قيمة الصبر عند الحق تعالى على البلاء النازل بالمرء...

❁

عن أبي سعيد الخدري ﷺ في الحديث :

كنت في جماعة فيها ضعفاء المهاجرين، وإن بعضهم ليستتر ببعض من العري، -لعدم وجود ثوب يستر بدنه كله، مستفيدين من ظلال الغير- وقارئ يقرأ علينا ونحن نستمع كتاب الله، فجاء النبي حتى قام علينا فلما رآه القارئ سكت، قال فسلم ثم قال:

«ما كنتم تصنعون؟».

قلنا يا رسول الله كان قارئ يقرأ علينا وكنا نستمع إلى قراءته، فقال النبي:

«الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم»

وبقول النبي عليه الصلاة والسلام هذا إشارة إلى الآية الكريمة:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف، ٢٨)

فقد أمر الله تعالى بهذه الآية رسوله عليه الصلاة والسلام أن يصبر مع الفقراء والمحتاجين من أول الداخلين في الإسلام على المشاق التي قد تصيبهم، وأن يكون لطيفاً في معاملتهم للغاية.

ثم جلس وسطنا ليعدل نفسه فينا، ثم قال بيده هكذا فحلق القوم (صنعوا حلقة) وبرزت وجوههم، قال فما رأيت رسول الله عليه الصلاة والسلام عرف منهم أحدا غيري، أن أصبر نفسي معهم، يشير إلى قوله في سورة الكهف:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

ثم قال عليه الصلاة والسلام:

«أبشروا يا معشر صعاليك (فقراء) المهاجرين بالنور التام يوم القيامة، تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذاك خمسمائة سنة» (أبو داوود، العلم، ١٣/ ٣٦٦٦)

وهذا هو جزاء الفقراء ذوو الصبر...

قال سيدنا فضالة بن عبيد:

«أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى بالناس يخر رجال من قامتهم في الصلاة من الخصاصة وهم أصحاب الصفة حتى تقول الأعراب هؤلاء مجانين أو مجانون، فإذا صلى رسول الله عليه الصلاة والسلام انصرف إليهم، فقال:

«لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة»

قال فضالة: وأنا يومئذ مع رسول الله ﷺ» (الترمذي، الزهد، ٣٩/ ٢٣٦٨)

عن أبي هريرة ﷺ قال:

«لقد رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء، إما إزار وإما كساء قد ربطوا في أعناقهم منها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته» (البخاري، الصلاة، ٥٨)

وكما هو واضح فإن الصحابة الكرام -ومن خلال إظهارهم التحمّل بالصبر على شتى أنواع المشاق كالجوع والفقر والحرب والمصيبة- كانوا وسيلة لوصول الإسلام إلى يومنا هذا، وعلينا نحن بدورنا نقل ما على عاتقنا من الأمانة المقدسة للأجيال القادمة بكل اعتناء باتباعنا واقتفائنا لهم.

وعن عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال:

«نزل الإسلام بالكره والشدة، فوجدنا خير الخير في الكراهة، فخرجنا مع رسول الله عليه الصلاة والسلام من مكة، فجعل لنا في ذلك العلاء والظفر، وخرجنا مع رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى بدر على الحال التي ذكر الله تبارك وتعالى:

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ. يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ. وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (الأنفال: ٥ ـ ٧)

والشوكة قريش فجعل الله لنا في ذلك العلاء والظفر فوجدنا خير الخير في الكره» (الهيثمي، ٧، ٢٦ ـ ٢٧)

عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي عليه الصلاة والسلام، فقالت: إني أصرع، وإني أتكشَّف، فادعُ الله لي، قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك» فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف، فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعا لها. (البخاري، المرضى، ٦/ ٥٦٥٢؛)

فهذا هو الصبر على البلايا ابتغاء رضا الله تعالى!

وكلمات محمد إقبال التمثيلية فيما يلي تفيد فضيلة وإظهار الصبر والتحمّل على المصاعب حيث يقول:

«كان ثمة غزال يشتكي لغزال آخر قائلاً: سأعيش بعد الآن في الكعبة والحرم، أنام وأصحو هناك، وأرعى، لأن الصيادين قد وضعوا الأفخاخ في السهول، يتجولون متعقبين آثار الغزلان ليلاً ونهاراً، وإني أريد أن أتخلص من همِّ الصياد بعد الآن، وليجد قلبي السكينة والطمأنينة!..»

وأما الغزال الآخر الذي كان يستمع لهذا فقد رد عليه: «يا صديقي العاقل! إن كنت تريد العيش فعش داخل الخطر، واضرب نفسك بحجر الشحذ على الدوام، وعش أَحَدَّ من السيف نظيف الجوهر! فإن كلاً من الخطر والقوة يمتحن القدرة، فإن ذلك هو ما يعلمنا ما هي قادرة عليه الأجسام والأنفس».

ويقول بعد أن واراه التراب:

«إنا قوم نسأل الله تعالى ما نحب فيمنْ نحب فيعطينا، فإذا أنزل ما نكره فيمنْ نحبُّ رضينا»

ما أشد الابتلاء هنا! وما أعظم الصبر! ثم ما أرقى الرضا! وما أتم التسليم! إنه ابتلاء يناسب سمو المقام وعلو المرحلة، وهي حقيقة وناموس كوني، فكلما ارتقى المرء في الدرجات زادت وقست عليه الابتلاءات، وهو ما عبر عنه النبي ﷺ في الحديث التالي:

وخلاصة القول فإن الصبر كنز ثمين في أعماق الإنسان، وأمتن درع أمام البلاء والمصائب، وخصلة عليّة أرضت الله تعالى وتستلزم مكافآته الكبيرة التي وعد بها، وهي ببيان رسول الله عليه الصلاة والسلام تضيء دنيا الإنسان وعقباه في آخرها بقوله:

«...**الصبر ضياء**...» (مسلم، الطهارة، ١/ ٢٢٣)

الأستاذ:عبد الله سرت

قال رسول الله ﷺ : "ألا وأنا حبيب الله ولا فخر".

[الترمذي، المناقب، ١/ ٣٦١٦؛ الدارمي، مقدمة، ٨]

أدَّبه ربه وبيَّن حقوقه

إن الله ذا الجلال والكمال، خالق جميع العوالم المرئية وغير المرئية، لم يترك الإنسان سُدى. بل أرسل الأنبياء ليحفظ العلاقة بين ذاته العليَّة وبين عباده وفق إرادته. وبدأت سلسلة النبوة بآدم عليه السلام، أول البشر وأول الأنبياء، واكتملت بحبيبنا خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، الذي جمع بين أول حلقة وآخرها.

كان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم أعظم نعمة من الله تعالى للبشرية، وآخر رسله. فوضع بعون الله وبالوحي الإلهي، ثم بتطبيقه العملي، نظامًا للعلاقات بين الإنسان وخالقه، وبين الإنسان وأخيه الإنسان، وبين الإنسان وسائر المخلوقات.

وكان أحب الخلق إلى الله تعالى هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي بيَّن الله تعالى حقوقه بنفسه. أُرسل رحمة للعالمين ورسولاً إلى جميع البشر، كما جاء في قوله تعالى:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف، ١٥٨].

لقد أدب الله تعالى حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم، وبيَّن حقوقه بنفسه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا. إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح، ٧-٩]

وبعد هذا البيان الإلهي، أوضح الله تعالى للمؤمنين الأوائل الذين آمنوا بحبيبه ما يجب أن يراعوه في علاقتهم معه، فقال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات، ١-٢]

وكان الصحابة الكرام رضي الله عنهم يسيرون في علاقتهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفق هذه التوجيهات الإلهية، وكانوا يقولون دائمًا: "سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا".

ومن شدة أدبهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان القليل منهم يستطيع النظر إلى وجهه الشريف عن قرب. رُوي أن الصحابة، ما عدا أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، كانوا يغضون أبصارهم عند الحديث مع النبي صلى الله عليه وسلم، فلا يجرؤون على النظر إليه مباشرة.

وقد وصف عمرو بن العاص رضي الله عنه، الذي أصبح لاحقًا فاتح مصر، حاله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

"وما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالًا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه". [مسلم، الإيمان، ١٩٢]

كان السلف الصالح رحمهم الله يكرهون رواية الحديث بغير طهارة. وكان الإمام الأعمش، إذا أراد أن يروي حديثًا ولم يتمكن من الوضوء، يتيمم. [انظر: القاضي عياض، الشفا، ٢، ٦٠١-٦٠٤]

أما سعيد بن المسيب رحمه الله فقد كان إذا سُئل عن حديث شريف وهو مريض في فراشه، يقوم من فوره، ويتوضأ ويتأهب، ثم ينقل الحديث الشريف.

وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا ذهب إلى مكة للحج أو العمرة، وأسرعت ناقته أثناء الطريق، يمسك لجامها ويقول:

"تمهلي! فلعل قدميك تطأ مكانًا وطأته قدما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأفوز أنا وتسعدين أنت". [حاتم عمر طه، الكوكب الدري، المدينة المنورة، ١٤٢٦، ٢٠٢]

ولما كثر طلبة الإمام مالك رحمه الله واقترح عليه البعض أن يُعيِّن شخصًا ينادي بالحديث بصوت عالٍ لمن هم بعيدون، فرفض قائلاً: "قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات، ٢]، فكيف لي أن أفعل هذا؟ يجب أن نحترم رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته.

وكان رحمه الله شديد الحرص منذ شبابه على إظهار الاحترام والتقدير لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان يُولي أهمية كبيرة لتلقي الحديث وحفظه بتعظيم وخشوع، كما كان يحرص على الاستماع إليه في أجواء من السكينة والوقار. لذلك، لم يكن يسمع الأحاديث وهو واقف، ولم يكن يحضر دروس الحديث إذا كان في حالة ضيق أو حزن أو تردد. وكان يخشى الوقوع في أي خطأ يتعلق بالحديث الشريف.

وذات يوم سئل:

"هل سمعت حديثًا من عمرو بن دينار؟" فأجاب: "رأيته يروي الحديث، وكان الناس يقفون ويكتبون. أما أنا، فلم أحب كتابة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا واقف".

وكان رحمه الله ذا هيبة عظيمة وأخلاق عالية في جميع أحواله، سواء في دروسه أو في إفتائه، وكان وجهه يشرق نورًا عند حديثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان لا يروي الحديث إلا وهو على وضوء وقد ارتدى أجمل ثيابه. ولم يكن يجلس على كرسيه إلا عند رواية الحديث الشريف.

وعندما كان الناس يأتون إلى منزله، كان خادمه يخرج إليهم ويسألهم:

"هل تريدون سماع حديث أم سؤالًا فقهيًا؟"

فإذا كانوا يريدون سؤالًا فقهيًا، كان الإمام يخرج إليهم ويجيب على أسئلتهم. أما إذا أرادوا سماع الحديث، كان يقول لهم: "اجلسوا".

ثم يدخل بيته، فيغتسل، ويتطيب، ويرتدي ملابس جديدة، ويلف عمامته، ثم يخرج إلى كرسيه،ويجلس بهدوء وخشوع، ويبدأ في درس الحديث. وكان يتم إشعال عود الطيب أثناء المجلس،

فتنتشر الروائح الطيبة حتى ينتهي المجلس...كان الصحابة الكرام رضي الله عنهم يُظهرون تقديرًا بالغًا لأغراض رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا يرفضون أن يمسها المشركون. فقد ألقى سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه بنفسه وسط الكفار عندما سقط عمامته التي تحتوي على شعر ولحية النبي صلى الله عليه وسلم، حتى لا يدوسها أحد من أعداء الله.

وعندما كان الصحابة يجلسون في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانوا كأن على رؤوسهم الطير، لا يتحركون ولا يصدرون صوتًا، يستمعون إليه بخشوع ووقار.

أما الدولة العثمانية التي استمرت ٦٠٠ عام، فقد كان احترام القرآن الكريم وكلام الله، وتعظيم سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، هو الأساس الذي قامت عليه واستمرّت تطبيقاته على مرّ العصور.

كان السلطان العثماني أحمد الأول يكتب كل صباح على ورقة عبارة "محمد رسول الله" ويضعها بين طيات عمامته. وكان يقصد بذلك القول:

"إن سلطاني الحقيقي ليس في التاج الذي أضعه على رأسي، بل في حمل اسمك الشريف فوق رأسي كل يوم يا رسول الله".

وقد عبّرت أبيات الشعر الآتية عن الحب والاحترام بأروع صورة:

ليتني أحمل دائمًا على رأسي، مثل تاجي
خطى سيد الرسل الطاهرة
فصاحب هذه الخطى هو وردة بستان النبوة
فيا أحمد، لا تتردد في تقبيل خطى تلك الوردة.

ومن أروع مظاهر هذا التقدير هو قراءة القرآن الكريم بلا انقطاع أمام الأمانات المقدسة في قصر طوبكابي بإسطنبول، والتي جلبها السلطان العثماني سليم الأول إلى إسطنبول، مانحًا المدينة شرفًا معنويًّا عظيمًا.

وفي عصرنا، يمكن أن يظهر التعظيم الأجمل للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من خلال حمل كلماته النبوية بكل حب إلى قلوبنا، ومن ثم إلى الأجيال الجديدة، وإحياء قلوبنا وألسنتنا بفيض الصلوات عليه.

فإن تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحترامه يتحقق ظاهرًا وباطنًا بالتمسك بسنته ومعرفته بأنه جوهر كل المخلوقات وخلاصتها. فهو حبيب الله الأزلي، وكل ما عداه تابع له، فقد كان أول المخلوقات وأول شاهد على وحدانية الله وربوبيته وعلى خلق كل شيء من العدم، من المعادن والنباتات والحيوانات والملائكة والجن والشياطين والبشر وسائر الموجودات.

ذاك فخر العالمين، محمد سيد
الأنبياء، فصلُّوا عليه.
اللهم صلِّ على سيدنا
محمد وعلى آله
وصحبه وبارك
وسلم

الفتح يبدأ من القلب أولًا!

شهر أيار/ مايو هو الشهر الذي ترك فيه فتح إسطنبول بصمته على تاريخنا وثقافتنا الإسلامية. وكلمة "الفتح" كلمة جميلة... أن تفتح مكاناً أو مجتمعاً مليئاً بالظلام، والهم، والتعصب، والظلم، والدسائس، والخيانة، والقمع والاستبداد؛ وتخرجه إلى النور، والضياء، والتفكر، والسكينة، والانشراح، والإيمان، والحرية، والكمال، والعلم، والمعرفة، والحكمة... أن تزيل العوائق أمام الإسلام... أن تزيل الحجب التي تغطي أعين الناس، وتعرفهم بجمال الإسلام، وبرحمته، وعدله، وحريته... أن تنقذ الناس من عبودية العباد، وترفعهم إلى مقام عبودية الله الكريم.

نحن المسلمين اليوم بحاجة ماسة إلى "فتح عظيم" في أرواحنا وعقولنا وفي حضارتنا وثقافتنا! لأن عقولنا، وأجسادنا، وقلوبنا، وبيوتنا، ومدننا، ومدارسنا، وأجنداتنا تحت الاحتلال! كل فرد منا يحتاج أن يكسر قوقعته، ويلتقي بدعوة الله للهداية، ويؤمن بصدق بأوامر الله ونواهيه ويستسلم لها من أعماق قلبه؛ حتى نبلغ "الحرية الحقيقية" بكرامة وعزة.

وكما قال المفكر التركي نجيب فاضل: الخروج من "الإسلام الظاهري" والوصول إلى "الإسلام الحقيقي" لا يتحقق إلا بفهم الإسلام، والإحساس به، وعيشه، ثم نشره. فإذا كنا نحن بحاجة إلى العون، فكيف يمكننا أن نقدم العون للآخرين؟!

تمر الأمة الإسلامية بفترة صعبة منذ ثلاثة قرون. نفقد أراضينا شبرًا شبرًا، ونشهد أمام أعيننا انتهاك كل القيم التي نعتبرها "حصونًا لكرامتنا وشرفنا". نظن أننا عاجزون، ونقبل بالواقع الذي نعيشه، ونردد العبارات السلبية مثل: "هكذا جرت الأمور وستظل هكذا!"، أو "لا أستطيع فعل شيء!" تماما كما قال بنو إسرائيل: "يا موسى، اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا ها هنا قاعدون!"

ونكتفي بإلقاء مسؤولية الفتح والجهاد على غيرنا، ثم نعود إلى حياتنا اليومية ومناطق راحتنا!..لكن ربنا أعطى كل واحد منا قدرات وإمكانات ومعارف ومهارات. لكل منا "مجالات نفوذ" في داخله وفي محيطه. لكل شخص منا "ما يمكنه فعله" في نطاقه الخاص. انتظار المنقذ من الخارج، وإلقاء المسؤولية على عاتق "أصحاب القوة والإمكانات" ليس سوى "هروب من المسؤولية" بأخف التعبيرات! يجب على كل فرد أن يخوض معركته الداخلية، أن يجاهد بكل قوته ليغلب موسى بداخله فرعون نفسه!

من لم يتحقق الفتح في داخله، لن يحقق فتحًا في الخارج! من لم يغلب نفسه بروحه، ولم يفتح قلبه للإسلام، سيخسر جميع المعارك والصراعات الخارجية!

اليوم، العالم الإسلامي على أعتاب فتح جديد بإذن الله... روح الإيمان والجهاد في غزة، والثبات والعزيمة أمام العدو، ستبث روح الفتح في الأمة كلها.

غزة أصبحت مركزًا لنهضة البشرية وتجددها. نسأل الله الرحمة والمغفرة لكل الفلسطينيين المظلومين الذين فقدوا حياتهم في هذا الطريق، نسأل الله أن تكون شهادتهم مباركة. ومن واجبنا جميعًا أن نرعى المحتاجين، والمرضى، والمحرومين، وأن نرسم الابتسامة على وجوه أيتام هذه الأمة في أقرب وقت ممكن.

يا ربنا، ارزقنا رجالًا مؤمنين مخلصين لدينهم من أهل العلم والجهاد والخدمة. اجعلنا من عبادك الذين تحبهم وتختارهم وترضى عنهم. وأحيينا على الإيمان، وأمِتنا على الإيمان، وابعثنا على الإيمان. واحشرنا مع من أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. آمين.

عمر فاروق دميراشيك

مقاطعة ثمامة الاقتصادية

عائشة شيمشك

في مواجهة الأحداث السياسية والاقتصادية التي تسببت في معاناة المسلمين، كان تطبيق المقاطعة الاقتصادية أحد الوسائل الفعالة لتحقيق النتائج المرجوة، ومساعدة المتضررين، ووضع حد للظلم، ومنع أعداء المسلمين من التمادي في قوتهم التي قد تضر بالإسلام والمسلمين. تُعد مقاطعة ثمامة لأهل مكة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم نموذجًا يُحتذى به في هذا المجال.

كانت مكة منطقة غير صالحة للزراعة [انظر: إبراهيم، ٣٧]، لذلك اعتمد أهل مكة في معيشتهم على القوافل التجارية التي كانوا يرسلونها إلى الشمال والجنوب. وكانوا يستوردون الحبوب من منطقة اليمامة. وتقع اليمامة في وسط طرق التجارة من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب، وتتميز بموقعها الجغرافي الاستراتيجي ووديانها الخصبة، مما جعلها منطقة ذات أهمية اقتصادية كبيرة.

كانت اليمامة مشهورة بمصادر المياه الوفيرة والزراعة المتقدمة، وكانت تشتهر بالقمح والتمر والشعير ومياهها العذبة. وذكر بعض المؤرخين أن منطقة اليمامة كانت من أجمل أراضي الجزيرة العربية، وأكثرها خصوبة، وغنية بالأشجار والنخيل مقارنة بمناطق الحجاز الأخرى.

وفي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان بنو حنيفة هم سكان منطقة اليمامة. وكان لثمامة بن أثال، أحد أمراء بني حنيفة، دور بارز في هذه القصة. عاش ثمامة في مدينة حجر (الرياض حاليًا)، ولم تقبل قبيلته دعوة النبي صلى الله عليه وسلم للإسلام عندما أرسل إليهم رسالة.

وفي أثناء توجه ثمامة إلى مكة، قبض عليه قائد سرية القرطاء، محمد بن مسلمة، وأحضره إلى المدينة. ودعاه النبي عليه الصلاة والسلام مرة أخرى إلى الإسلام، لكنه لم يعتنقه فورًا. أمر النبي صلى الله عليه وسلم

بحسن معاملة ثمامة، وربطه بأحد أعمدة المسجد لمنع هروبه، حيث بقي هناك ثلاثة أيام قُدم له خلالها الطعام.

عرض ثمامة دفع فدية مقابل إطلاق سراحه. ومع أنه لم يقبل الإسلام خلال الأيام الثلاثة، تم إطلاق سراحه دون فدية. ونتيجة المعاملة الطيبة التي لقيها، قرر ثمامة أن يعتنق الإسلام. وتعلم من رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه يمكنه أداء العمرة، فذهب إلى مكة وأدى العمرة. فانزعج بعض قريش من رؤيته يزور الكعبة مُهللًا، إذ كان بعضهم يرغب في قتله، بينما البعض الآخر رأى أنه من الأفضل أن يُطلق سراحه بسبب العلاقات التجارية بين قريش واليمامة. فأُطلق سراحه.

ونتيجة لما وقع، أعلن ثمامة مقاطعة اقتصادية ضد قريش قائلًا:

"اتبعت الدين الحق، دين محمد صلى الله عليه وسلم. ومن الآن فصاعدًا، لن يصل إلى قريش أي طعام من اليمامة حتى يأذن لي". فقام ثمامة بقطع الإمدادات الغذائية من اليمامة، مما أدى إلى حدوث مجاعة في مكة.

وعندما عانى أهل مكة من نقص المواد الغذائية بسبب المقاطعة، طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم التدخل، طالبين منه أن يكتب لهم رسالة إلى ثمامة لرفع المقاطعة. وفي الرسالة قالوا:

" إن عهدنا بك تصل الرحم وتحض على ذلك.. وإن ثمامة بن أثال قد قطع عنا ميرتنا وأضرَّ بنا. فإن رأيت أن تكتب إليه أن يبعث بما نحتاج إليه فافعل".

فاستجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لطلبهم، فكتب رسالة إلى ثمامة، ورفعت المقاطعة. وبموجب تدخل رسول الله عليه الصلاة والسلام، تم السماح لثمامة بإرسال الإمدادات الغذائية وغيرها من الاحتياجات إلى مكة.

عندما عانى أهل مكة من نقص المواد الغذائية بسبب المقاطعة، طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم التدخل، طالبين منه أن يكتب لهم رسالة إلى ثمامة لرفع المقاطعة.

هذه الحادثة تبين لنا أن المقاطعة الاقتصادية يمكن أن تستخدم أداة سياسية للضغط على الأطراف المعنية.

كانت مقاطعة ثمامة تطبيقًا مهمًا في فترة حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنها كانت تؤثر على مكة اقتصاديًا وتسبب لها ضغوطًا. وبما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نبيًا وكان هناك احتمال أن يُسلم بعض من المشركين في مكة، بالإضافة إلى روابط القرابة والطلبات التي وردت إليه، فقد تدخل ووسّط لدى ثمامة لرفع المقاطعة.

فهذه الحادثة تبين لنا أن المقاطعة الاقتصادية يمكن أن تستخدم أداة سياسية للضغط على الأطراف المعنية. فقد كانت قريش في وضع صعب بسبب مقاطعة ثمامة، لدرجة أنهم حاولوا قتله وأبعدوه عن مكة، كما حاولوا قتله في الحروب التي كانت تُشن ضد المسلمين. وعندما طلبوا مساعدة رسول الله صلى الله عليه وسلم للتوسط في رفع المقاطعة، يظهر أن قريش كانت قد وصلت إلى مرحلة من الضعف السياسي.

طلب قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم مساعدتهم في شؤونهم الداخلية يشير إلى أن المسلمين قد أصبحوا أقوياء سياسيًا. والعامل الذي ساعد في تحقيق هذه القوة كان هو المقاطعة الاقتصادية. إن فهم نتائج تطبيق مثل هذه العقوبات الاقتصادية في فترة حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم مهم لتقدير تأثيراتها في السياقات السياسية والاقتصادية.

الموت ينتظر عند الباب

الأستاذ: طارق أبلاق

ولد أبو إسحاق الإلبيري، وهو عالم أندلسي، في مدينة "إلْويرة" قرب غرناطة، واشتهر باسم الإلبيري. توفي الإلبيري عام ١٠٦٧م. واشتهر بقصائده في الزهد والتقوى، لا سيما قصيدته المعروفة باسم "التائية"، التي كثيرا ما قرأها وحفظها أهل العلم.

ورغم قلة المعلومات المتوفرة عن حياته، إلا أن الروح والتأثير العميقين في أشعاره يكشفان أنه كان من أهل الله. تتكون التائية من أكثر من مئة بيت، تقدم خريطة طريق للمرء في رحلته إلى الآخرة. يبدأ هذا العمل العميق بالأبيات التالية:

تَفُتُّ فُؤَادَكَ الأَيَّامُ فَتًّا

وتَنْحِتُ جِسمَكَ الساعاتُ نَحتًا

الزمن يمضي دون توقف، ويحضر لنا نهايتنا. تقدم هذه الأبيات صورة مؤثرة عن مرور الزمن، الذي يبدو بطيئًا وخفيًا حتى إن الإنسان لا يدرك كيف ينقضي هذا الكنز الثمين. كل ساعة تمر تقرِّبنا خطوة نحو الموت وتزيد من مسؤوليتنا أمام الله.

يشير الإلبيري في أبياته إلى أن الزمن يعمل ضد الإنسان، وكل يوم يمضي يحمل معه آلامًا وامتحانات تجرح القلب. والحياة مليئة بالمصاعب والابتلاءات التي تترك أثرًا عميقًا في نفوسنا. ولكن يجد العبد الملتجأ الوحيد في استغلال عمره في سبيل رضا الله.

الحياة هي مجموع الأيام المعدودة التي أعطيت لنا. ومع مرور كل يوم، يأخذ الزمن قطعة من عمرنا. ولفهم قيمة هذه الأمانة العظيمة التي هي "الحياة"، علينا أولًا إدراك قيمتها. ولهذا يلفت الشاعر في مقدمة قصيدته الانتباه إلى زوال الدنيا وخداعها، مذكرًا بقيمة الوقت الذي نملكه.

وتَدْعُوكَ المَنُونُ دُعَاءَ صِدْقٍ

أَلَا يَا صَاحِ: أَنْتَ أُرِيدُ، أَنْتَا

الموت هو الحقيقة الحتمية التي لا مفر منها، ومع ذلك نغفل عنه وكأننا نعيش للأبد في هذه الدنيا الفانية. يذكرنا الشاعر بأن الموت يلاحقنا دائمًا، وهو قريب جدًّا منا. لا يمكننا نسيانه، حتى لو حاولنا ذلك، لأنه لا ينسى أحدًا.

أَرَاكَ تُحِبُّ عِرْسًا ذَاتَ غَدْرٍ

أَبَتَّ طَلَاقَهَا الْأَكْيَاسُ بَتَّا

أي أراك قد تعلقت قلبًا بدنيا غدارة تشبه العروس الخائنة، بينما العقلاء طلَّقوها طلاقًا لا رجعة فيه.

(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) [الأنبياء، ٣٥]

الموت هو الحقيقة الحتمية التي لا مفر منها، ومع ذلك نغفل عنه وكأننا نعيش للأبد في هذه الدنيا الفانية. الشخص الذي يعيش في غفلة لن يفتح عينيه إلا عندما يموت، وعندها سيكتشف كم كانت الدنيا بلا قيمة، وسيغرق في ندمٍ لا نهاية له.

إنَّ نعمَ الدنيا وجمالَها قد سرقت قلبَك كالعروس. هذه الدنيا مزخرفة ومضيئة للغاية، ولكنها في الواقع ملكٌ لظالم قاس قاتل. جمالُها كاذب، وهي خائنة. اليومَ موجودةٌ، وغدًا تختفي. فمن يدرك هذه الحقيقة لا يربط قلبه بهذه الدنيا. وفي الحديث الشريف:

"الكَيِّسُ مَنْ دانَ نَفْسَهُ، وعَمِلَ لما بَعْدَ المَوْتِ، والعاجِزُ مَنْ أتبَعَ نَفْسَهُ هَواها وتَمَنّى عَلَى اللَّهِ". [الترمذي، صفة القيامة، ٢٥]

يشير النبي صلى الله عليه وسلم إلى أنَّ العقلاء لا يربطون قلوبهم بالدنيا، بينما العاجزين هم الذين يتبعون أهواءهم ويعلقون آمالهم على الله دون عمل. العاجزون وفقًا لهذا الحديث هم الذين وقعوا في حب العروس الخائنة المسماة "الدنيا"، بينما العقلاء هم الذين طلقوها وعملوا للآخرة.

تَنَامُ الدَهْرَ وَيْحَكَ فِي غَطِيطٍ
بِهَا حَتَّى إِذَا مِتَّ انْتَبَهْتَا

نحن في نوم عميق وغفلة. "الغطيط" يدلُّ على مدى عمق النوم، والغفلة هي أعمق أنواع النوم وأثقلها. فمن السهل إيقاظ شخص نائم بأبسط شيء، لكن إيقاظ شخص غارق في غفلة الدنيا لا يمكن أن يحدث إلا بالموت.

الشخص الذي يعيش في غفلة لن يفتح عينيه إلا عندما يموت، وعندها سيكتشف كم كانت الدنيا بلا قيمة، وسيغرق في ندمٍ لا نهاية له. ولحماية أنفسنا من هذا المصير، لا بد من "الموت قبل الموت"، أي أن نستيقظ على الحقيقة ونتوجه إلى الله قبل فوات الأوان.

فَكَمْ ذَا أَنْتَ مَخْدُوعٌ وَحَتَّى مَتَى لَا تَرعَوِي عَنهَا وَحَتَّى

كيف خدعتك الدنيا؟ متى ستسحب يديك منها؟

يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ)

[آل عمران، ١٤]

إن نعم الحياة الدنيا زُيّنت للإنسان، فهي مريحة للنفس والطبيعة البشرية. لكن هذه الزينة في الدنيا تخدعنا وتجذبنا إليها. ومع ذلك، واجبنا هو أن نحرر أنفسنا من هذه الشهوات وأن نتوجه إلى ربنا. فمن لا يستطيع النجاة من فخ الدنيا، فإنَّه، نسأل الله العافية، يصبح أسيرًا للشهوة والشيطان. على العبد أن يحرر يديه وقلبه من الدنيا ومن زينتها وألاعيبها.

أَبَا بَكْرٍ دَعَوْتُكَ لَوْ أَجَبْتَا إِلَى مَا فِيهِ حَظُّكَ إِنْ عَقَلْتَا

رغم أن من يُخاطب في البيت الشعري قد يكون موضوعًا للنقاش، إلا أن الرأي الأكثر قبولًا هو أنه كان ابن أبي إسحاق الإلبيري. في هذا البيت، يدعو الشاعر جميع المؤمنين، من خلال مخاطبته لأبي بكر، إلى إدراك حقيقة الدنيا، والوصول إلى المعرفة بالله.

ورغم أن النفس تميل إلى شهوات الدنيا العابرة، إلا أن الإنسان العاقل الذي يفكر في حياة الآخرة لا ينقاد لهذه الشهوات. فيفضل أن يستثمر في حياة الآخرة بدلًا من حياة الدنيا الفانية.

اللهم أيقظنا من غفلة النوم، واجعلنا من الذين لا يخدعون بزينة الدنيا وجمالها. واجعلنا من الذين ينفقون بضاعة عمرهم في استثمار الآخرة. يا رب، وفقنا لسماع الحق والحقيقة، ونسألك أن توصلنا إلى معرفتك حق المعرفة. آمين.

آدم شاهين

هل نسيـــتَ الوقف؟

المياه التي جرت تحت الجسر خلطت كل شيء وكل شخص. تحوّل الناس إلى نوع من "الخليط المتنوع"؛ شيء من كل شيء. عمليات البحث على الإنترنت تضم كل شيء وكل شخص. "مصطفى" تعني المصفى والطاهر. أما محمد صلى الله عليه وسلم فيشير إلى الأمانة، واسم مصطفى يهمس بمعنى "التطهر".

ذات يوم، كان أحد الأصدقاء الذين يعملون في مؤسسة حكومية يجلس متكئًا على كرسيه، وبدأ حديثه قائلاً: "بصفتي مديرًا...". لم يستمع الحاضرون إلى بقية الجملة. كما يردد الشباب كلمة "تمام" باستمرار، فإن عبارة "بصفتي مديرًا" أصبحت تتكرر على مسامع الجميع. لكن أين أولئك الذين كانوا يصفون أنفسهم بعبارات مثل: "أنا لا شيء، العبد الفقير، المذنب الذي لا يغتفر، الفاني"؟

الخيول الجيدة التي كانت تأخذ الناس الطيبين، هل أنتم أيضًا مذنبون؟

ذات مرة، زار أحد الأصدقاء في المؤسسة الحكومية، لكنهم لم يسيروا على درب السعي وراء المناصب الإدارية، بل كانوا يعملون في مؤسسات التعليم الديني وبيوت الرحمة المتمثلة في الوقف. لكن أن تصبح مديرًا لا ينبغي أن يجعلك تنسى تلك السنوات التي قضيتها في دراسة الأفعال مثل "كتب- كتبا- كتبوا".

في جامعة الشرق الأوسط التقنية هناك تقليد ينادي فيه الجميع، حتى الصغار، بعضهم بـ"أستاذي". تنبع هذه العادة من الاعتقاد بأن لكل شخص شيئًا يمكن تعلمه. متى أصبحت كلمة "أستاذي" أو حتى أن تكون أستاذًا شيئًا ننظر إليه من مسافة بعيدة؟

في تعلم اللغة العربية، تبدأ تصريفات الأفعال بفعل "نصر" الذي يعني "ساعد"، كرسالة ضمنية في اللاوعي. "نصر- نصرا- نصروا" تهدف إلى تحفيز المساعدة بشكل خفي. لماذا لا تبدأ بتصريف مثل: "أكل- أكلا- أكلوا"؟ لماذا أصبح العالم مليئًا بهذا العدد الكبير من "الأكّالين"؟

في الجمعيات والمؤسسات الوقفية، تسمع كثيرًا عبارات مثل "تعال إلى المكتب، لنتحدث في مكتبي". لكن لماذا تُستخدم كلمة "مكتب" ولا تُستخدم كلمة "وقف"؟

في عبارة "التفاحة فاكهة" تكمن رؤية أحادية البعد كما هو الحال مع كلمة "مكتب". أما كلمة "وقف" فتحتوي على عمق يظهر في عبارات مثل "التفاحة نعمة"، "التفاحة رزق". فالنعمة تذكّر بالمنعم، والرزق يذكّر بالرزاق. كما يذكّر العبد بسيده، والمخلوق بخالقه. في فترة من حياتي، حاولت الترويج لاستخدام كلمة "وقف" بدلًا من "مكتب". هل نجحت؟ لا.

يُستخدم مصطلح "منظمة المجتمع المدني" كبديل لكلمة "وقف". يقولون: "لعيش صحي، لا تأكلوا أو تشربوا ما لم يأكله أو يشربه أجدادكم". يمكن أن نضيف: "ولا تستخدموا الكلمات التي لم يكن أجدادكم يعرفونها".

هل أصبحت كلمة "وقف" التي استُخدمت لقرون غير قادرة على تلبية الاحتياجات؟ كل وقف هو منظمة مجتمع مدني، لكن ليست كل منظمة مجتمع مدني وقفًا. الوقف يمتاز بالرحمة وبُعد النظر إلى الآخرة.

هل يجب أن ترتبط كلمة "المحبة" فقط بالطيور التي تُسمى "طيور الحب"؟

في القوقاز وتركستان الكبرى، كنت أرى والديّ يتفاهمان مع الناس دون مترجم، بينما كان الشباب يحتاجون إلى مترجم. الكلمات تشبه الأسمنت الذي يربط الناس ببعضهم. من أمور الحياة إلى اختبارات الآخرة، يمكننا الاقتراب من المعاني السماوية باستخدام كلمات ذات دلالتين.

سمعت في فيديو أحدهم يقول إن لزيادة بركة البيت يجب تشغيل القرآن في المطبخ، وإن الاستماع للقرآن يجعل الفواكه والخضروات شافية.

القرآن الذي كانت أول أوامره "اقرأ"، هل أُرسل ليكون موسيقى خلفية تجعل الفواكه والخضروات شافية؟ لا شك أن القرآن شفاء. لكن أن يكون القرآن شافيًا للفواكه والخضروات ربما يكون الهدف المئة ألف. في المقدمة تأتي توحيد الله، وإقامة العدل، ومقاومة الاستغلال.

تشغيل القرآن في المطبخ ليُسمَع للفواكه والخضروات هو تصرف يُرضي النفس. من لا يريد أن يصبح صحيًا بسهولة؟ لكن قطع الغيبة، والإنفاق، والسجود تأتي بصعوبة على النفس.

هل تغيّر عالمنا لأن كلماتنا تغيّرت؟

أم أن كلماتنا تغيّرت لأن عالمنا تغيّر؟

من أين نبدأ؟

الأذان الذي يُتلى في كل يوم يصرخ فينا كيف نبدأ قائلًا "حيّ على..."

الأستاذ دورسون غورلك

حديث النبوي المعجزة:

حديث فتح القسطنطينية

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لَتَفْتَحُنَّ القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش)

بمناسبة الذكرى الـ٥٧١ لفتح إسطنبول، قرأتُ كتابًا بعنوان "إسطنبول وكتابات معمارية"، وهو عمل أعدّه صديقنا الراحل إسماعيل درويش أوغلو، ونُشر ضمن إصدارات مؤسسة التاريخ التركي. يحتوي الكتاب على العديد من المقالات المهمة حول إسطنبول، والفتح، وعمليات التعمير أو التدمير، والمساجد التاريخية.

في هذه المقالات، يناقش المعماري المعروف سادات تشتينطاش أعمال التدمير التي حدثت خلال فترة الحزب الواحد، وعمليات الهدم بالمعول، وعدم الاكتراث والجهل الذي أُظهر تجاه الآثار التاريخية، ونضاله ضد هذه الأعمال. كما يتحدث عن الاستعدادات التي أُجريت بمناسبة الذكرى الـ٥٠٠ للفتح.

لقد قرأت هذا الكتاب مرة أو مرتين بشغف كبير، ولكني شعرت بانزعاج عميق من بعض العبارات التي فاجأتني. على سبيل المثال، في مقال بعنوان "يجب عدم إساءة استخدام الذكرى الـ٥٠٠"، نشره في صحيفة "أكشام" بتاريخ ٣ مايو ١٩٥٣، استخف المعماري بحديث الفتح الشهير قائلًا: "وأخيرًا، هذا هو الفتح والحديث الشريف المعروف الذي يرغب البعض في جعله راية لهذا الحدث".

وفي فقرة لاحقة، قال: "ما دفع إلى فتح إسطنبول ليس المدافع أو البنادق أو الحديث الشريف المعروف الذي يُراد جعله راية"، معززًا فكرته الخاطئة.

أود أن أؤكد هنا أن الحديث النبوي الشريف الذي وصفه تشتينطاش بأنه "معروف"، والذي هو حديث مشهور، كان أهم دافع لفتح إسطنبول، وفقًا لما يقوله علماء الإسلام ومعظم مؤرخينا. حتى السلطان العثماني محمد الفاتح، مثل الحكام المسلمين السابقين، بذل جهدًا كبيرًا ليحظى بالبشارة التي جاء بها الحديث، ولم يهمل الجانب المادي للموضوع، حيث استخدم المدافع الثقيلة والأسلحة الحديثة لهدم الأسوار القوية للإمبراطورية البيزنطية ليصبح بذلك "نعم الأمير"، أي القائد العظيم.

ومن المعروف أن العديد من علماء الإسلام كتبوا أعمالًا لشرح هذا الحديث النبوي. من بين هؤلاء عمر نصوح بيلمن، الرئيس السابق للشؤون الدينية، الذي تحدث في كتابه "تفسير سورة الفتح وتاريخ إسطنبول" عن كيفية تحويل القسطنطينية إلى مدينة إسلامية بفضل جهود الفاتح وجنوده. وذكر في هذا السياق أهمية حديث الفتح، الذي وصفه بـ"المعجزة النبوية".

ويعلق قائلًا: "لقد تحققت هذه البُشرى النبوي. كان كل جندي في الجيش الإسلامي يزين لسانه بالتسبيح والتكبير، وكان صدى هذه الكلمات العظيمة يصل إلى السماء، ويملأ القلوب بالخشوع والراحة والرهبة".

وقد وصف الأسقف ليوناردو، الذي كان في إسطنبول أثناء الحصار، هذه المشاهد في كتابه التاريخي، قائلًا: "آه! لو سمعتم مثلنا أصوات جيش الفتح وهم يهتفون: 'لا إله إلا الله محمد رسول الله'، لأصابتكم الدهشة، ولعجزت ألسنتكم عن النطق".

كما أن السلطان العثماني محمود الثاني أمر العالم الكبير إمام زاده محمد أسعد أفندي بتأليف كتاب بعنوان "فتح القسطنطينية". وقد أُعيد نشر هذا العمل مع إضافات قام بها الدكتور نجدت يلماز تحت عنوان: "حديث الفتح وفتح القسطنطينية: قيمته وتفسيره".

لقد ذكرنا سابقًا أن المؤرخين أيضًا تناولوا هذا الحديث النبوي في أعمالهم. على سبيل المثال، تحدث رشاد أكرم قوجو في كتابه "السلطان محمد الفاتح" عام ١٩٥٣ بأسلوب أدبي عن الحديث الذي يبشر بالمستقبل. ونقل نصه ومعناه قائلًا: "لَتَفْتَحُنَّ القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش".

في كتاب "الصورة الفكرية للسلطان محمد الفاتح"، الذي أعدّه إسماعيل إي. أرونصال ونشرته دار نشر تيماش، يذكر هليل إينالجك التالي: "عندما اعتلى السلطان محمد الفاتح العرش للمرة الثانية في شباط/ فبراير ١٤٥١، بعد وفاة والده السلطان مراد الثاني، بدأ باتخاذ خطوات لتحقيق ما كان يحلم به أثناء وجوده في مانيسا. في السنوات الأولى من حكمه، قام بتجديد الاتفاقيات مع الإمارات الأناضولية وبيزنطة والمجر وصربيا والبندقية، لضمان السلام الداخلي وإزالة التهديدات الخارجية القادمة من الغرب. وبعد ذلك بدأ في التخطيط لتحقيق حلمه الكبير، وهو فتح القسطنطينية. وقد كان يسعى بشدة ليصبح القائد الموعود الذي أُشير إليه في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (لَتَفْتَحُنَّ القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش)، مثلما طمح العديد من السلاطين قبله إلى هذا الشرف".

ووفقًا لما نقله المؤرخ "دوكاس"، فإن السلطان محمد الفاتح كان لا ينام ليلًا أثناء وجوده في قصر أدرنة. وكان شغله الشاغل ليلًا ونهارًا هو التفكير في فتح إسطنبول. كما يذكر دوكاس أن الفاتح، بعد إتمام التحضيرات اللازمة، كان يقضي وقته ليلًا ونهارًا في التفكير بخطة الحرب والاستراتيجية التي ستُمكنه من فتح المدينة، سواء أثناء نومه أو خلال تجوله في حدائق القصر. وأخيرًا، بعد حصار استمر حوالي شهرين، فُتحت القسطنطينية في أيار/ مايو ١٤٥٣.

هناك قصة تُنسب إلى الفاتح تؤكد ما ذكره دوكاس: كان السلطان محمد الفاتح في قصره بأدرنة يقضي لياليه بلا نوم في التحضير لخطط الفتح. وكان هناك مدرسة دينية مقابل القصر، وظل أحد مصابيح غرفها مضيئًا في الليل بينما كانت المدينة بأكملها مظلمة.

سأل السلطان الوزير الكبير تشاندارلي خليل باشا: "من هذا الذي لا ينام في تلك المدرسة؟ ولماذا يظل مستيقظًا طوال الليل؟" فأجابه الوزير: "هناك طالب علم يدرس في تلك الغرفة، ولذلك يظل الضوء مضيئًا." فقال الفاتح: "سبحان الله! هل يفكر هذا الطالب مثلي في فتح إسطنبول طوال الوقت؟ لماذا لا يدرس في النهار وينام ليلًا؟"

كتب الأستاذ السابق في الأكاديمية العسكرية، أ. راغب أكياواش، مقالًا مهمًا يشرح فيه حديث الفتح. ونُشر المقال في العدد الخاص بالفتح في مجلة "التاريخ المصورة". وقد اقتبس الكاتب المقال لتوضيح الفكرة بشكل أفضل وإزالة أي شكوك."من يزور مسجدَي آيا صوفيا والفاتح، سيجد على جدار باب السبيل النقش التالي: "لتَفْتَحُنَّ القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش".

هذا ما يُسمى بـ"حديث الفتح". يتضمن هذا الحديث مدحًا وثناءً من النبي ﷺ على القائد والجيش اللذين سيُكتب لهم فتح إسطنبول. وقد استلهم العديد من حكام المسلمين القوة من هذه البشارة النبوية، فانطلقوا في حملات لفتح المدينة، وتنافسوا للفوز بهذا الشرف العظيم. ولكن القضاء الإلهي لم يخرج عن مساره، وكتب هذا الفتح العظيم للسلطان محمد الثاني، الذي كان يبلغ من العمر اثنين وعشرين عامًا، ومنحه لقب "الفاتح"، كما استحق جيشه لقب "نعْمَ الجيش".

ومع ذلك، كان هناك من لم يحتمل هذه المكانة التي حظي بها التُرك، فادعى أن هذه الكلمات المقدسة والثناء الاستثنائي قد اختُرعا من قِبل بعض المتزلفين في زمن السلطان الشاب للتقرب إليه.

في هذا المقال، سنحاول توضيح أين ومتى وبأي مناسبة ورد هذا الحديث، وأيضًا استكشاف الصلة الروحية بين "محمد النبي" و"محمد الفاتح".

هذا الحديث من الأحاديث الصحيحة التي وصلت إلينا عن النبي ﷺ، والتي تتعلق بالغيب. فالغيب، بلا شك، من اختصاص الله وحده. ولكن هناك أفرادٌ مميزون من البشر حظوا بنصيب من الفيض الإلهي، وفُتح لهم سرٌ من العلم الرباني، مما مكنهم من الاطلاع على أمور الغيب بإذن الله. هؤلاء الأشخاص النادرون يرون ما وراء الحُجب من أحداث، وينقلون ما رأوه بصدق وإخلاص.

لا شك أن النبي ﷺ كان في أعلى درجات هذه المزية المعنوية. ولهذا السبب، كان أحيانًا يخبر الناس بما يجول في خواطرهم، وأحيانًا أخرى ينبئ عن أحداث مستقبلية.والحق أن الأنبياء المعصومون يمتلكون إحساسًا سادسًا يفوق حواسنا الخمس، وهذا ما أكده القرآن الكريم في قوله تعالى:

(عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ) [الجن، ٢٦-٢٧].

إن إخبار النبي ﷺ بأمور تتعلق بالغيب كان يحدث نادرًا، ويتم بطريقتين: أحيانًا يرى المستقبل بوضوح في المنام، وما يراه يتحقق. وأحيانًا يحدث ذلك في حالة يقظة، حيث تنكشف له الأحداث كوميض البرق، وتزول الحجب بينه وبين الوقائع. في تلك اللحظة، يرى كل شيء بوضوح ويخبر به بصدق دون تردد. هذه من أسرار النبوة التي لا يدركها العقل البشري ولا يستوعبها القلم. وقد عبّر مولانا جلال الدين الرومي عن ذلك بقوله:"النبي يعقوب لم يعلم أن ابنه يوسف كان في البئر بجواره، لكنه شم رائحة قميص يوسف وهو في مصر". فالإخبار النبوي الذي ذكرنا معناه أعلاه قد ورد في حالة يقظة، وقد شاهد النبي ﷺ مراحله الأخرى في عالم الرؤيا. وقع الحادث في منزل عبادة بن الصامت بالمدينة المنورة، وقد رواه الصحابي أنس بن مالك، الذي كان من أصغر الصحابة سنًا وأقربهم خدمةً للنبي ﷺ. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنه سمعه قال: كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة

بن الصامت، فدخل عليها رسول الله ﷺ، فأطعمته وجعلت تفلي رأسه، فنام رسول الله ﷺ، ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: "ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر [وسطه وظهره] ملوكًا على الأسرة، أو: مثل الملوك على الأسرة"، قالت: فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها رسول الله ﷺ، ثم وضع رأسه، ثم استيقظ وهو يضحك، فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: "ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله"- كما قال في الأول - قالت: فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، قال: "أنت من الأولين". [البخاري، الجهاد، ٣]

وقد شاركت أم حرام بعد مرور ثمانية وعشرين عامًا على هذا الحدث، في خلافة سيدنا عثمان وفي ولاية معاوية على الشام، مع زوجها عبادة في الحملة البحرية التي أُرسلت إلى قبرص. وعندما نزلت إلى البر، سقطت من على فرسها وتوفيت كما كانت تتمنى في سبيل الله خلال الجهاد، ودُفنت هناك حيث لا تزال مرقدها موجودة.

هذا الحدث هو تحقق للرؤيا التي رآها سيدنا النبي ﷺ في المدينة وأخبر بها.

وهو ليس إلا معجزة من معجزاته. فقد روت أم حرام هذه الرؤيا عندما وصلت مع زوجها إلى مدينة طرابلس الشام الواقعة على ساحل سوريا، حيث كانت تقيم هناك. وذكرت هذا الحدث أيضًا لزوجة معاوية من قبل.

أما عن المديح والبشارة النبوية بشأن القائد والجنود الذين سيفتحون إسطنبول، فراوي هذا الحديث الوحيد هو الصحابي بشر الغنوي ﷺ، الذي سمعه مباشرة من النبي ﷺ.

وبحسب كتب الحديث، فالبشارة بالغزو في مدينة قيصر، أي مدينة القسطنطينية مركز الإمبراطورية الرومانية الشرقية، جاءت في هذه الرؤيا الشهيرة. وفي يوم من الأيام في المدينة المنورة، خلال تجمع في المسجد، تساءل الصحابة عما إذا كان فتح القسطنطينية سيكون ممكنًا. وكانت تعبيرات النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الفتح مؤكدة تمامًا ومكررة مرتين. فكلمة "لتفتحن" تحتوي على حرف "ل" في البداية وحرف "ن" في النهاية، وكلاهما يفيدان التوكيد في القواعد النحوية.

وقد أجمع علماء الحديث واللغة على أن هذا الخطاب لم يكن موجهًا للصحابة الحاضرين فقط، بل هو خطاب عام للأمة المحمدية ولجميع المسلمين.

سعى العرب والترك مرارًا لتحقيق هذه البشارة النبوية من خلال حصار هذه المدينة. ولكن، كان السلطان العثماني محمد الفاتح هو من نال هذا الشرف العظيم. حقًا، ما أسعد ذلك القائد الذي يُذكر اسمه خمس مرات يوميًا في مسجد يحمل اسمه، حيث تصدح أصوات المؤذنين بالدعاء لروحه: "لروح أبي الفتح السلطان محمد الفاتح الفاتحة".

أما مصادر حديث الفتح: فهي: المسند، أحمد بن حنبل، الجزء الرابع، الصفحة ٣٣٥. وأسد الغابة، الجزء الأول، الصفحة ١٨٩. والإصابة، الجزء الأول، الصفحة ١٥٧. والاستيعاب، الجزء الأول، الصفحة ١٤٨.

أما السلطان محمد الفاتح، الذي نال بشارة حديث الفتح، فقد عبّر عن غيرته الدينية والإيمانية في شعره قائلًا:

امتثالًا لقوله تعالى "وجاهدوا في الله حق جهاده" كانت نيتي، وغيرتي هي السعي لنصرة دين الإسلام.

الأستاذ أكرم بكتاش

الطعام المجهول إما يؤلم البطن أو الرأس

أصدقائي المتقاعدين الأعزاء!

كلنا مسلمون...

– الحمد لله!

هل تتذكرون الحديث الشريف: "من غشّنا فليس منا"؟

– نعم بالتأكيد!

كنت مستعدًا لصلاة الجمعة وأنتظر الوقت. رن جرس الباب. كانت زوجتي قد خرجت إلى السوق، فقلت لا بد أنها هي. عندما تكون يداها ممتلئتين يصعب عليها إخراج المفتاح، فتضغط على الجرس.

فتحت الباب، فإذا بزوجتي ويدها فارغة تمامًا، وقالت:

– آسفة، لقد نسيت أن آخذ مفتاحي.

– وماذا لو كنت قد خرجت من البيت؟

– كنت سأذهب إلى المسجد.

– معك حق... ذات مرة ذهبت إلى مقهى أحمد. سألتها لماذا عادت فارغة؟

– سوقنا غال جدًا... هل تعرف كم سعر الباذنجان في الحقول؟

– لا! لدي صديق في أنطاليا، يمكنني أن أسأله إن أردت.

– لا تسخر! أنا أتحدث عن فرق الأسعار.

– حسنًا؟ – التقيت بزليخة في طريقي إلى السوق، فرجعت. – لماذا؟ هل أوقفتك؟

– يبدو أن مزاجك جيد اليوم... بالطبع، لأنك لا تعرف الأسعار، فأنا أشتري كل شيء.

– حسنًا! احكي إذن، ماذا قالت السيدة زليخة؟

– تعرف مكانًا تكون فيه كل الأشياء رخيصة جدًا. حتى اللحم هناك أرخص بكثير. زليخة تشتري اللحم بالكيلو وتضعه في الثلاجة.

– اشتري نصف كيلو فقط، لكن لا تضعيه في الثلاجة، أشتهي "كفتة" هذا المساء.

– حسنًا، سأشتري نصف كيلو وأضع نصفه في الثلاجة.

– موافق، أنا ذاهب الآن حتى لا أتأخر.

– بعد قليل ستأتي زليخة، وسنخرج نحن أيضًا... آه! عندما تعود من صلاة الجمعة، لا تتأخر، قد تكون يداي ممتلئتين.

– حسنًا، لكن لا تنسي مفتاحك!

هزّت زوجتي رأسها موافقة، وخرجتُ من البيت...زليخة هي زوجة صديقنا صالح. ما شاء الله، إنها امرأة ماهرة جدًا، عكس صالح تمامًا... إذا تُركت الأمور لصالح، فسيُفلس منتصف الشهر.

وصالح يعرف ذلك جيدًا، لذا فهو يعطي راتب تقاعده بالكامل لزليخة ولا يتدخل في أي شيء... إنه متقاعد حقيقي...

لأني تأخرت قليلًا، صليت في فناء المسجد. مسجدنا صغير، وإذا لم تأتِ مبكرًا، فمن الصعب العثور على مكان داخل المسجد. في الأيام الباردة والممطرة يكون الأمر مزعجًا قليلاً، لكن الآن الجو جميل. إنه شهر أيار/ مايو، والشمس التي تضرب ظهري تدفئني حتى أعماق رئتي...قمت من الحصير الذي صليت عليه، وجلست على الأريكة تحت شجرة الزيزفون.

يوجد أمام الباب "صندوق للمساعدات". فصاح كهربائي الحي جمال: – تبرعوا للمسجد!

وعلى يمينه ويساره تقف امرأتان متسولتان. الأصغر سنًا تحمل في حضنها طفلًا ربما أكمل عامه الأول لتوه.

ولأنني لا أثق كثيرًا بالمتسولين، لا أعطي المال لمن لا أعرفه. كنت أراهم لأول مرة. لكن حالتهم البائسة أثرت في قلبي... وخصوصًا الطفل ذو النظرات الحنونة... ربما يكونون بحاجة فعلاً.

تسللت مشاعر لا تتوافق مع مبادئي. وضعت يدي في جيبي دون أن يلاحظ أحد. وبين الأوراق النقدية الصغيرة، وجدت ورقة من فئة العشرة. وبينما كنت أفكر أن إعطاءها لأحدهما قد يجعل الأخرى تشعر بالإهانة، لاحظت أن المتسولة الكبيرة في السن تبتسم

للطفل الذي تحمله الأخرى. كان الطفل يلوح بذراعيه ويبتسم لها... إذن هما تعرفان بعضهما. ربما تكون إحداهما الأم والأخرى ابنتها، والطفل هو الحفيد...

أه! لمن أعطي الورقة النقدية؟ فكلها ستذهب إلى نفس العائلة...

كنت أضغط الورقة النقدية ذات العشرة ليرات وأطويها بيدي، وأصارع نفسي: "إن أعطيتها، سأكسب ثوابًا، وإن لم أعطِ، فهل أكون على حق؟"

وفجأة، حدثت حركة غريبة. المتسولة العجوز اختطفت الطفل، وقالت للفتاة:

– اهربي! إنهم قادمون!

ركضتا من الباب الخلفي للفناء وخرجتا بسرعة. وفي نفس اللحظة ظهر رجلان من الشرطة أمام الباب الأمامي:

– توقفي! لا تهربي!

هرب من هرب، وبقيت الورقة النقدية المجعدة في يدي. وضعتها في صندوق التبرعات للمسجد. أدركت أنني كنت مخطئًا؛ فقد خدعتني مظاهرهم واعتقدت أنهم منا. ذهبنا مع الأصدقاء إلى مقهى أحمد. شرب كأس من الشاي لن يضيع وقتنا كثيرًا. أثناء وضع أحمد الشاي أمامنا، قال:– كل شيء أصبح غاليًا يا شباب!..

كان هذا القول إشارة إلى زيادة جديدة في سعر الشاي، لكن الأصدقاء لم يعيروه اهتمامًا.

قلت:– أحمد، هل تعرف كم سعر الشاي في المزارع؟

قال: – لا أعرف يا رجل!

ضحكنا جميعًا. تحدثنا قليلاً عن ارتفاع الأسعار. قلت:– زوجتي وجدت مكانًا رخيصًا، كل شيء هناك بسعر منخفض. حتى اللحوم بأسعار زهيدة جدًا.

اهتم الأصدقاء وسألوا:

– بكم سعر اللحم؟

– سنرى... زوجتي ستشتري نصف كيلو من اللحم المفروم.

نهضت بهدوء وقلت:

– قبل أن تأتي زوجتي، سأذهب.

نهض نجيب معي. ذهب كل منا إلى منزله. يبدو أن نجيب أيضًا يفكر في شراء اللحم الرخيص...

دخلت المنزل، وبينما كنت أخلع سترتي، دق جرس الباب. لا بد أن زوجتي عادت، ويداها ممتلئتان. فتحت الباب، رغم تعبي الشديد، كانت زوجتي تبتسم، وقالت:

– كان المكان رخيصًا جدًا، خصوصًا اللحم المفروم.

ذهبت زوجتي إلى المطبخ. ورتبت ما اشترته. ووضعت نصف اللحم المفروم في الثلاجة. وبدأت تعجن النصف المتبقي مع الخبز لتحضير الكفتة.

مرت الساعات واقترب المساء. بدأت رائحة الكفتة الشهية تنتشر في أرجاء المنزل. وبينما كنت أسمع صوت معدتي تتذمر من الجوع، رن الهاتف:

– مرحبًا نجيب! – كيف حالك أخي؟

– بخير نجيب، ما الأمر؟

– هل تناولتم العشاء؟

– لم نتناوله بعد، زوجتي تحضره الآن.

– ما العشاء؟

– لماذا تسأل؟ هل ستأتي لتناول الطعام؟

– لا، فقط أخبرني. – كفتة.

صرخ نجيب: – آه أخي! كنت أتوقع ذلك..– كنا قد تحدثنا عن ذلك في المقهى.

– نعم! اللحم الرخيص! برأيي، لا تأكلوا، ليتضح كل شيء.

– ماذا تقصد، نجيب؟ الكفتة جاهزة!

– أخي، سمعت الآن في الأخبار: ضبط شاحنة محملة بلحوم خيول وحمير.

– ثم ماذا؟

– هذه اللحوم التي ضبطت... فأين غير المضبوطة؟

– لا أعرف، ما شأني بهذا؟

– أخي، قلت إنك وجدت لحمًا رخيصًا!

توقفت للحظة. لم أعرف ماذا أقول. كانت رائحة الكفتة الشهية لا تزال تصلني. التفتُّ فرأيت زوجتي خلفي وقالت: – هيا، الكفتة جاهزة.

أغلقت الهاتف. وشعرت وكأن قدماي تسيران إلى الخلف. جلست على المائدة وجسدي يرتجف.

قالت زوجتي:– كم قطعة كفتة تريد؟

– لا أشتهي شيئًا.

– ماذا؟

– أقصد... هل تقرؤون البسملة عند ذبح هذه اللحوم؟

– يبدو أنك تهذي من الجوع. كلْ لتستعيد عقلك.

وضعت زوجتي الكفتة أمامي. دفعتها بالشوكة وأخذت أبحث فيها وكأنني أحاول أن أجد شيئًا، لكن ما الذي يمكنني أن أجده؟ فاللحوم كلها تتشابه.

رفعت رأسي ونظرت إلى عيني زوجتي وقلت:– كيف كان شكله؟

– من تقصد؟

– الرجل الذي اشتريتِ منه اللحم.

ضغطت زوجتي شفتيها، ورفعت كتفها، وأشارت بيدها قائلة:

– كان شكله كأنه لص خيول!

شعرت بغصة في قلبي. نظرت إلى زوجتي بوجه متجهم. فابتسمت وقالت:

– كلْ ولا تقلق، سمعت ما قاله نجيب على الهاتف. لا تخف، المكان موثوق.

أكلت الكفتة، لكن في مخيلتي كانت الخيول والحمير تقفز وتتصارع.

هؤلاء الناس الخبثاء الذين خدعونا بلحوم الخيول والحمير ليسوا منا. فإلى أي قوم ينتمون؟

فكروا يا أصدقائي المتقاعدين الأعزاء.

وسنتحدث لاحقًا بإذن الله. مع السلامة!

الفتح والفاتح

عمر فاروق دميراشيك

بفتح مدينة إسطنبول، التي أصبحت جوهرة العالم، ترك لنا السلطان محمد الفاتح، السابع من سلاطين الدولة العثمانية، ميراثًا عظيمًا. في هذا الشهر الجميل من أيار/ مايو، نود أن نذكره وجنوده الأبطال بكل إجلال ومودة، مع الدعاء بالرحمة والفاتحة.

إن فتح إسطنبول ليس فقط نقطة تحول هامة في تاريخ البلاد، بل هو أيضًا نقطة تحول تاريخية على مستوى العالم. فقد كانت إسطنبول حلمًا للعديد من الحكام والسلاطين الذين تمنوا فتحها. ولكن السلطان الفاتح، في ٢٩ أيار/ مايو ١٤٥٣، تمكن من انتزاعها من يد البيزنطيين، وبذلك أغلق عصرًا وفتح عصرًا جديدًا.

وبهذا، أصبح الفاتح مشمولًا برعاية الحديث النبوي الشريف الذي بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قرون: "لتفتحن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش"...فكيف استطاع السلطان محمد الفاتح أن يكون صاحب هذه الكرامة؟ كيف كان شخصًا يستحق لقب"أعظم القادة"؟

السلطان محمد الفاتح وشخصيته

كان الفاتح ليس فقط قائدًا قويًا للدولة، بل كان أيضًا مسلمًا مخلصًا ومتدينًا بصدق. وقد أولـــــــى والده، السلطان مراد الثاني، اهتمامًا كبيرًا بتنشئته وتعليمه، حيث كان يعهد إليه العديد من العلماء البارزين في عصره لتعليم مختلف المجالات. من بين هؤلاء العلماء: ملا جوراني، وحجازي، وملا عبد القادر، وملا خير الدين، وسراج الدين الحلبي، وآكشم الدين.

كان الفاتح شخصًا واثقًا من نفسه، كثير القراءة والبحث، وكان يتمتع بقدرة على اكتساب المعرفة في العديد من المجالات. كان قمة في العدل والشجاعة والذكاء، إضافة إلى أنه كان متدينًا جدًا. وكان يعنى بالأدب والعلم والشعر، واهتم بإنشاء مكتبة ضخمة تعكس حبه للقراءة والعلم. وكان أيضًا شاعرًا ماهرًا. حصل على تعليم متميز في العلوم الاجتماعية والطبيعية، وكان يدرس اللغات العربية والفارسية واليونانية واللاتينية والصربية والسلافية والإيطالية. كما كان مهتمًا بالتاريخ والجغرافيا والرياضيات، وخصص وقتًا كبيرًا للتخصصات العسكرية والدينية والأدبية.

خلفية فتح إسطنبول

زُيِّنَت حياة السلطان محمد الثاني (الفاتح) بتلك التربية الشاملة والطموحة، مع حلم فتح إسطنبول. نشأ الفاتح وهو يحمل هذا الحلم منذ صغره حتى شبابه. لهذا السبب، فور توليه العرش، بدأ في الاستعداد للفتح. تم تنفيذ هذه التحضيرات بدقة كبيرة وبأسس استراتيجية وعلمية. وتمت استشارة رجال الدولة والعلماء وأقطاب الروحانية في كل خطوة.

أولاً، تم بناء حصن روميلي خلال فترة وجيزة مدتها أربعة أشهر، وشارك السلطان بنفسه في العمل على هذا البناء. وأمر بصبّ المدفع العظيم، المعروف بـ"شاهي"، وقام بعمل الحسابات الهندسية بنفسه. قطع جميع روابط المدينة مع الخارج وحجب الدعم القادم إليها. وعبر نقله السفن والدوريات على اليابسة في ليلة واحدة، استطاع إدخال السفن إلى خليج القرن الذهبي وتجاوز السلسلة المعدنية التي كانت تحمي المدخل. وبجهود مادية ومعنوية كبيرة، تمكن من إجبار الإمبراطورية البيزنطية على الركوع.

انفتاح إسطنبول للإسلام

فتح السلطان محمد الفاتح إسطنبول ليس فقط بقوة السلاح، بل جعله جنة أي مدينة مليئة بالخير والجمال. فسعى إلى تعزيز عدد السكان من خلال جذب شعوب مختلفة إلى المدينة، واستهدف إثراء ثقافتها. ودعا إلى المدينة كبار العلماء من مختلف أنحاء العالم، مثل الرياضي الشهير علي كوشجو والفقيه والفيلسوف الكبير علاء الدين الطوسي، وعرض عليهم هدايا قيمة ورواتب عالية. وفي وقت قصير أصبحت هذه المدينة عاصمة العلم والفكر والروحانية، ومركزًا للتقدم العلمي والتكنولوجي والفني.

في الوقت نفسه، تم بناء المساجد والمدارس والحانات والحمامات والقوافل. وتم إنشاء موائد الطعام والجمعيات الخيرية للمحتاجين وكذلك المستشفيات. ولتحقيق الانتعاش الاقتصادي والتجاري للمدينة، تم تأسيس الأسواق الكبرى. وتم تأسيس المئات من الأوقاف على مدار القرون من أجل الحفاظ على استمرارية هذه الأعمال الخيرية والخدمية.

ومن الواضح من كل هذه الإجراءات أن السلطان محمد الفاتح كان بلا منازع أعظم سلاطين الدولة العثمانية. كان رجل دولة قوي وقائدًا ناجحًا، وعالمًا كبيرًا، وشاعرًا استثنائيًا، ومتنوّرًا يعرف العديد من اللغات إضافة إلى كونه مهندسًا معماريًا عظيمًا...وبعد فتح إسطنبول، تقدم الفاتح نحو الغرب، حيث استولى على الإمارات الأناضولية، وعلى إمارات صغيرة، ثم واصل التقدم نحو الغرب. ففتح اليونان وبوسنة وهرتسيغوفينا ودوقية وولاتيا وبغدان، باستثناء بلغراد وصربيا، ووسع أراضي الدولة العثمانية من نهر الدانوب إلى نهر الفرات. وخلال فترة حكمه قضى على ١٧ إمبراطورية ودولة وملكية وإمارة.

الفتح ورسائل من الفاتح إلى يومنا هذا

الفتوحات، في المقام الأول، تتحقق بـ"روح الإخلاص والتفاني". ولكن تأسيس هذه الروح وتمامها ليس ممكنًا فقط بالحب، بل من خلال تعبئة كل المعرفة والجهد والموارد المادية والمعنوية بشكل جماعي.

وكما هو معروف "لا يأتي الربيع برؤية زهرة واحدة!"

القدرة التي جعلت من السلطان محمد "الفاتح" كانت أسرته، ووالده، ومعلموه، وجيشه، وأمته، وتقاليد الدولة العثمانية التي تتمتع بجذور عميقة. وإلا فإن النجاح الذي يتحقق عن طريق الصدفة، لا بد أن يزول مثل وهج شعلة سريعة!

عندما يتحد العلم والفهم مع الإيمان والحماس والجهاد، لا يوجد حاجز يمكن أن يقف أمامه! فليس إيمان وعقل وجهد شخص واحد كافيًا. العظائم تتحقق بالعقل الجماعي، أي "التشاور". وعندما يمسك الجميع بيد واحدة بإخلاص، تتحول الأعباء الثقيلة إلى خفّة، وتنهار الجبال.

إن بشارة نبي الله صلى الله عليه وسلم هي هدف للمسلمين، وهي أيضًا شهادة على نبوته... عندما انطلق وحيدًا في مكة، تحقق كل ما وعد به، وصدق كل ما قاله الصحابة ومن جاء بعدهم مرارًا وتكرارًا. كان صادقًا أمينًا؛ أي دائمًا ما يقول الحق وكل ما قاله تحقق.

في شخصية السلطان محمد الفاتح وجيشه، تجسدت "مقاييس الجمال" التي بشر بها النبي صلى الله عليه وسلم. وعندما نصل إلى نفس الكمال والجمال، حينها ستأتي الفتوحات الجديدة وأيام النصر الإلهي، بإذن الله...

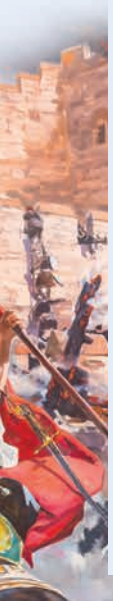

القدّوس

د. عائشة طوكسوز

النظافة التي نحتاجها في ضوء اسم الله "القدوس"

اسم الله "القدوس"، الذي يعني "الطاهر، المنزه، النقي"، هل هو مجرد ذكر يُقال بسرعة بالألسن؟ كما أن النباتات لا تروى بمجرد تكرار كلمة "ماء" دون تقديم الماء، فهل يمكن تحقيق النظافة الباطنية والظاهرية دون نقش ما نذكره بالألسن في حياتنا؟

عندما يتم تطهير النفوس بالنظافة الباطنية، هل تقتصر النظافة الظاهرية على الملابس ونظافة المنازل؟ هل يقتصر محيط الإنسان على العائلة، والأصدقاء، والأقارب، والجيران؟ الإنسان، الذي خُلق ليكون خليفة في الأرض وزُوّد بكل ما يحتاجه، هل يستطيع أن يعكس تمامًا وعي النظافة تجاه الكون، الذي هو بمثابة مسجد عظيم، كما يشير إليه قوله تعالى:

(تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) [الإسراء، ٤٤].

يقول النبي ﷺ: "الطهور شطر الإيمان" [مسلم، الطهارة، ١]

بالطبع، نفهم هذا الحديث الشريف على أنه يشير إلى تطهير الجسد من الأوساخ المادية والقلب من الأدران المعنوية. فهل يستطيع من طهّر جسده وقلبه أن يظهر حساسية النظافة في جميع جوانب حياته؟ يقول الله:

(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) [البقرة، ٢٢٢]

هل يُفهم من هذه الآية الكريمة أن النظافة فردية فقط؟ أم أنها تكتسب معنى أعمق حين تبدأ من الفرد وتمتد كموجات إلى نظافة البيئة؟

الإنسان، الذي خلقه الله في كون متوازن ومنظم، أخلّ بالتوازن والنظام. كما أن الزائر في قاعة عرض لا يلمس المعروضات ويحاول التأمل في كل قطعة بإجلال، فإن الكون، الذي هو أعظم معرض لخالقه، وجميع مخلوقاته يستحقون الحماية، والاحترام، والتأمل.

إن الإنسان الذي لم يلمس هذه الرقة اليوم هو السبب الرئيسي وراء مشاكل البيئة. فالإنسان، الذي لا يتحمل العيش دون هواء لبضع دقائق، لوث الهواء الذي يتنفسه بسعيه وراء اللذة، والسرعة، والطمع. ولم يكتفِ بذلك، بل لوث المياه التي يشربها ويستخدمها وجفف موارده الطبيعية تقريبًا، وأفسد التربة، التي هي المصدر الأساسي للغذاء، وجاوز كل الحدود بالتسبب في التلوث السمعي، وكأنه يضرب الكون بفرشاة قذرة...وعلى الرغم من محاولاته تغطية كل هذه الاضطرابات بشعارات "التقدم"، فقد تأثرت البشرية، والنباتات، والحيوانات، وكل كائن بقدر ما. وأولئك الذين ينزعجون من أقل صوت يوقظهم من نومهم، يشاهدون عروض الألعاب النارية بحماس دون مبالاة بالطبيعة. هذه العروض تجعل الطيور، التي تحتاج إلى الراحة أثناء هجرتها، تهلك بسبب عدم قدرتها على تحمل هذا الضجيج.

وبينما يتباهى الشباب بأنظمة الصوت في سياراتهم غير مكترثين بنظرات المحيطين المندهشة والمتضايقة، يظهر حتى القطط، التي تُعتبر مخلوقات بسيطة، أدبها بتغطية مخلفاتها. ومع ذلك، فإن مياه الصرف الصحي للإنسان تطفو على مصادر المياه النظيفة.

إن البلاستيك، والزيوت المستعملة، وغيرها من النفايات التي لا يمكن حصرها، تلتهم البيئة كأنها تسونامي مدمر. ثم تأتي هذه النفايات التي تتغذى عليها الكائنات البحرية إلى موائدنا، وتؤكل وكأنها طعام صحي(!). علاوة على ذلك، تُلحق هذه النفايات الضرر بالكائنات الأخرى، وتُضاف أنواع عديدة منها إلى قوائم الكائنات المهددة بالانقراض...

يقول الله تعالى:

(وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ) [البقرة، ٢٠٥].

(لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا. وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا) [النساء، ١١٨-١١٩].

وعلى الرغم من أن القرآن الكريم يؤكد أن كل المخلوقات تُسبح بحمد الله، إلا أن الأشجار تُعتبر "أخشابًا جامدة"، وتُقطع إذا أفسدت المنظر أو أعاقت البناء، ثم يتحدث الناس عن رغبتهم في العيش في منازل ذات حدائق....يجب ألا ننسى قول الله تعالى:

(أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) [البقرة، ١٠٧]

الإنسان ليس مالكًا حقيقيًا للكون والمخلوقات، بل هو مجرد مستخدم لها، وليس له الحق في الإسراف فيها. البيئة والمخلوقات ليست مجرد نعم منحها الله لنا، بل هي أمانة يجب علينا تسليمها للأجيال القادمة بشكل صحي وسليم.

أولى رسول الله ﷺ أهمية كبيرة للماء، واعتبر الإسراف فيه مكروهًا حتى عند الوضوء من ماء جارٍ. يقول ربنا عز وجل:

(إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) [الإسراء، ٢٧]

ومع أن التدابير التكنولوجية والقانونية تُتخذ للحد من المشاكل البيئية، فإن هذه المشاكل تتفاقم يومًا بعد يوم.

نعتقد أن حل هذه المشكلة يكمن في تربية الأبناء على الأخلاق القائمة على الدين والضمير داخل الأسرة أولًا، ثم تعزيزها بالتعليم في المدارس، وترسيخها بممارسات نموذجية حسنة في جميع مراحل الحياة. العادات الصحيحة التي تُكتسب في مرحلة الطفولة تبشر بمستقبل مشرق.

يا ربنا، اجعلنا وذريتنا من الطاهرين بفضل اسمك "القدوس"، ومُنَّ علينا بفهم كتاب الكون حق الفهم ومعرفة قيمته. آمين.

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: "الطهور شطر الإيمان" يا ربنا، اجعلنا وذريتنا من الطاهرين بفضل اسمك "القدوس"، ومُنَّ علينا بفهم كتاب الكون حق الفهم ومعرفة قيمته. آمين.

في ضوء هذه الآيات الكريمة، فإن تجاهل تحذيرات الخالق الواضحة بشأن المواد المعدلة وراثيًا والاندفاع وراء الجشع المالي الذي يدمّر الأجيال، ما هو إلا إعداد لوقود جهنم.

النساء اللواتي يقدمن لأبنائهن موائد فاخرة في قصورهن، لا يكلفن أنفسهن عناء مشاركة بقايا الطعام مع الحيوانات المحيطة، بل يضعنها في أكوام القمامة. النفايات القابلة لإعادة التدوير، التي تُسبب تلوثًا بيئيًا كبيرًا ولكن يمكن أن تُسهم في الاقتصاد الوطني وتوفر فوائد بيئية واقتصادية للأجيال القادمة، تُعتبر أشياء زائدة يجب التخلص منها بسرعة. تُلقى هذه النفايات في سلال القمامة بدلًا من وضعها في حاويات إعادة التدوير.

والأطفال الذين يتلقون تعليمًا حول إعادة التدوير في مدارسهم يقفون في حيرة أمام التناقضات التي يرونها في منازلهم.

الأستاذة: مروة غولاتش

معاذة العدوية

رحمها الله

وُلدت معاذة العدوية في البصرة وتنتمي إلى قبيلة بني عدي. وتُعد من جيل "التابعين"، لأنها عاصرت المؤمنين الذين رأوا صحابة النبي صلى الله عليه وسلم. وكما هو معلوم، فإن من رأى النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنًا به يُسمى "صحابيًا"، ومن لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه رأى الصحابة يُسمى "تابعيًا"، أما من رأى التابعين ولم يدرك الصحابة يُسمى "تابع التابعين".

هذه الأجيال الثلاثة تُعتبر أقرب الأجيال إلى النبي صلى الله عليه وسلم وتتميز عن غيرها بما لها من شرف وفضل بسبب قربها الزمني من النبي صلى الله عليه وسلم وما قدمته من خدمات عظيمة للإسلام.

عاشت معاذة العدوية في القرن الأول بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم، ولم تنل شرف رؤيته أو أن تكون من صحابته، لكنها أمضت حياتها مشتعلة بمحبة عصر النبي، وتُعتبر من النساء الصوفيات الرائدات.

قضت معاذة طفولتها وشبابها في حلقات العلم ومجالس الذكر. ونالت شرف حضور مجالس السيدة عائشة رضي الله عنها، كما رأت سيدنا علي وبعض الصحابة الكرام. رضي الله عنهم جميعًا.

تزوجت معاذة من صلة بن أشيم العدوي، وهو من كبار التابعين المعروفين بالتقوى. ورُزقت منه بابنة تُدعى "الصهباء"، ومن ثم لُقبت بـ"أم الصهباء".

في تلك الفترة التي كانت تُروى فيها الأحاديث النبوية بكثرة لما لها من أهمية كبرى للأجيال القادمة، روت معاذة العدوية الأحاديث التي سمعتها من كبار الصحابة كعلي بن أبي طالب، وعائشة رضي الله عنهما، وهشام بن عامر الأنصاري، وأم عمرو بنت عبد الله بن الزبير، وزوجها صلة بن أشيم.

وبهذا تُعد معاذة العدوية من النساء القلائل من التابعين اللواتي رَوَينَ الأحاديث. وقد روى عنها كبار العلماء مثل أبي قِلابة الجرمي، وقتادة بن دعامة، وأيوب السختياني.

وقد وثق الإمام البخاري، ويحيى بن معين، وابن حبان ثقتها وعدالتها، ووردت رواياتها في مصادر مهمة مثل كتب الصحاح الستة، ومسند أحمد بن حنبل، وسنن الدارمي.

كانت لمعاذة العدوية حلقة تعليمية خاصة بالنساء، وكان مستمعوها ينتفعون كثيرًا من مجالسها. وإلى جانب معرفتها بالفقه والحديث، عُرفت بفصاحتها وبلاغتها.

عاشت معاذة العدوية حياتها على نهج مجاهدة النفس. وواجهت ابتلاءً عظيمًا عندما فقدت زوجها وابنها في معركة واحدة، لكنها أظهرت صبرًا وقناعة أدهشت الناس، إذ خضعت تمامًا لتقدير الله عز وجل، على الرغم من أنها ظلت تحمل في داخلها ألم فقدان زوجها وولدها حتى وفاتها.

وبعد وفاة زوجها وابنها، كرّست معاذة وقتها للعبادة، وكانت تقول خلال النهار: "ربما يكون هذا اليوم هو يوم وفاتي!"، وفي الليل: "ربما تكون هذه الليلة هي ليلتي الأخيرة!"، فكانت تقضي معظم وقتها في العبادة، ولم ترغب أبدًا في أن تموت وهي في غفلة أو نوم. وكانت تقول إن الحياة عزيزة عليها لأنها وسيلة للتقرب من الله عز وجل.

اهتمت معاذة بالطعام الحلال وحذَّرت من الشبهات، فكانت تأكل قليلًا وتنام قليلًا، وتحذر الآخرين من الغفلة. ومن أقوالها: "عجبًا لعينٍ تنام كثيرًا في الدنيا مع علمها أنها ستنام طويلًا في ظلام القبر".

لذا، كانت تُفضّل العبادة على النوم قدر استطاعتها، وكانت تُوصي الجميع بالسير على هذا النهج. وحينما قيل لها: "تُجهدين نفسك كثيرًا"، أجابت: "كلا، بل أؤخر النوم من الليل إلى النهار، وأؤخر الطعام من النهار إلى الليل".

وذُكر أنها كانت تُحيي لياليها بالصلاة، وإذا غلبها النعاس قامت وقالت: "يا نفس! النوم أمامكِ. وإذا متِّ فسيكون نومكِ في القبر طويلًا، إمّا على سرور أو حزن". وكانت تمشي في البيت تُردد ذلك حتى الصباح.

ومن أبرز تلاميذها كانت ابنتها من الرضاعة أم أسود، التي أصبحت خليفة لها في الزهد والورع، وتخلقت بأخلاقها، وأصبحت واحدة من أشهر النساء الصالحات في زمانها. وكذلك أُنيْسة، التي كانت من تلميذاتها، ودُوّن اسمها في كتب تراجم النساء الصوفيات الزاهدات.

ومن الروايات المشهورة عنها أنها سألت السيدة عائشة رضي الله عنها ذات يوم: "هل يجب على النساء قضاء الصلاة التي فاتتهن أثناء الحيض؟" فأجابت السيدة عائشة رضي الله عنها بلهجة تعجبية: "أحرورية أنتِ؟" وأوضحت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهن بقضاء الصيام دون الصلاة في تلك الحالة.

اهتمت معاذة بالطعام الحلال وحذَّرت من الشبهات، فكانت تأكل قليلًا وتنام قليلًا، وتحذر الآخرين من الغفلة. ومن أقوالها: "عجبًا لعينٍ تنام كثيرًا في الدنيا مع علمها أنها ستنام طويلًا في ظلام القبر".

قالت معاذة:

"عشتُ في هذا العالم سبعين عامًا، ولم أذق طعم الراحة قط".

وهذا يدل على أنها عاشت ما لا يقل عن سبعين عامًا. وتُوفيت في عام ٨٣ هـ (٧٠٢ م)، بينما تذكر بعض المصادر أنها توفيت في عام ١٠١ هـ (٧١٩-٧٢٠ م).

رحم الله هذه المرأة العظيمة التي عاشت حياتها على الزهد والتقوى..

يقول الله ﷻ:

﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور، ٣٥)

وإذا ما دققنا في هذه الآية الكريمة نجد أن القرآن الكريم -بضرب هذا المثل- يُعطِي الإدراك البشري أولاً انطباعات يمكنه استيعابها، ثم يُجرِّد من هذه الانطباعات بحقيقة تتجاوز الخيال والإدراك، يُعبِّر عنها قوله تعالى: {نُورٌ عَلَى نُورٍ}، أي إن نور الله تعالى ليس كأنواع الأنوار المحدودة التي تخطر على بال الإنسان، ولن تكون كأيٍّ منها، فهو نور غير محدود فوق كل الأنوار، ونور لا يمكن أن يدركه البشر، فمن المستحيل أن يرى كل إنسان الدليل الحق، ويعلم آيات الله تعالى، ويخضع لأوامره؛ لأن إدراك المرئي كما أنه مرتبط بالنور، مرتبط كذلك بالعين التي سترى، فكل شيء يمكن رؤيته بالعين سيكون واضحًا للعين ببركة النور، أما الأعمى فلن يرى أبدًا، لذلك فإن وجود الروح التي ترى هو ركن أساسي في رؤية المخلوقات والحقائق، ولها أهمية كبيرة كأهمية النور، فالروح القادرة على الرؤية هي فقط التي تستطيع الإدراك والفهم. ونرى من ناحية أخرى أن وصف المولى ﷻ ذاتَه في الآية الكريمة بـ «النور» وقوله: {الله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} يدل على أنه خالق العالم كله، وهو الذي يُري هذا الكون كله، ويُعلِّم الحقائق الكثيرة ما ظهر منها وما بطن، ويبعث الحياة في العيون والقلوب. ولو لم يكن نور الله تعالى، لما عُلِمَ أو وُجد أي شيء، ولما وصل الإنسان إلى الحقائق، ولما امتلأت القلوب بالبهجة والسعادة أبدًا.

إن جميع أنواع الأنوار التي تيسِّر رؤية المخلوقات ومشاهدتها ما هي إلا تجلٍّ من تجليات ذلك النور العظيم.

وعليه؛ فإنه كما توجد درجات للأنوار في السموات، كذلك توجد أمثلة عن هذه الدرجات في الحياة الدنيا، فعلى سبيل المثال، تضرب أشعة الشمس القمرَ، ومنه تتوجه هذه الأشعة إلى الأرض لتدخل في بيت من البيوت، وتسقط على مرآة في أحد الجدران، ثم تسقط على مرآة أخرى في الجدار المقابل، ثم تسقط على كأس ماء، ومن ثم تنعكس على سقف البيت، فنجد أن أقوى هذه الأنوار هو الذي انبعث من المصدر وهو الشمس، والنور الثاني من حيث القوة هو الذي كان في القمر، والثالث الذي كان في المرآة الأولى، والرابع في المرآة الثانية، والخامس في الماء، والسادس في السقف. ونرى أن أقرب نور إلى نقطة الخروج الأولى هو أقوى من البعيد عنها، كذلك تدرُّج الأنوار في السموات، أي إن النور المستفاد منه أقوى من المستفيد، وتزداد هذه الأنوار جميعها وتتقوى لتصل في النهاية إلى النور العظيم الذي لا نهاية له، وهو نور الله ﷻ.